الشاعر الإيطالي
ليوناردو سنيسغاليلي

د. عيسى الناعوري

الشاعر الايطالي ليوناردو سنيسغاللي واحد من أبرز شعراء ايطاليا المعاصرين • ولد سنة ١٩٠٨ ، وبعد أن تلقى دروسه الاعدادية والثانوية في مدينتي (كازيرتا ــ Caserta) و (بنيفينتو ــ Benevento) انتقل الى روما سنة ١٩٢٦ ، ودرس الهندسة الالكترونية والصناعية في جامعتها ، وتخرج فيها سنة ١٩٣٢ • وفي الوقت نفسه راح يغذي ميوله الأدبية بالكتابة في مجلة (المعرض الأدبي ــ La Fiera Letteraria) ويتصل بالمحافل الأدبية والأوساط الفنية في العاصمة •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأدى ليوناردو الخدمة العسكرية، فلما أنهى الخدمة في مدينتي (لوكا ــ Lucca) وروما ، استقر في ميلانو سنة ١٩٣٣ • ومع استمراره في الحياة الأدبية والشعرية ، راح يعمل في الرسم والهندسة وأعمال الدعاية • وتولى ادارة مكتب الدعاية في مصنع شركة (أوليفيتي ــ Olivetti) • وفي سنة ١٩٤٠ دعي الى الخدمة العسكرية مرة ثانية ، وأرسل الى جزيرة سردينيا ، وبقي فيها الى سنة ١٩٤٢ ، ثم نقل الى القيادة العامة في روما • فلما انتهت

الحرب العالمية الثانية ، راح يشارك في برامج الاذاعة والتلفزيون ، ولا سيما برنامج (مسرح العندليب) كما عمل في انتاج برنامجين آخرين ، هما (دروس في الهندسة) و (واحد في الألف من المليمتر) وقد فاز هذان البرنامجان بجائزتين دوليتين في البندقية •

وفي سنة ١٩٤٨ عاد الى ميلانو من جديد مستشارا لشركة (بيريللي — Pirelli) ومديرا لاحدى المجلات • ثم عاد الى روما من سنة ١٩٥٣ الى سنة ١٩٥٩ ، وأنشأ هناك مجلة (حضارة الآلة — Civilta' delle macchine) وفي سنة ١٩٥٩ عهد اليه بادارة خدمات الدعاية لشركة (ايني — ENI) •

فاز بجائزة (اتنا — تورمينا) الأدبية سنة ١٩٦١ • وبعد ذلك عمل مستشارا في شركة الطيران الايطالية (آليطاليا)، وأنشأ مجلة دعاها (التخطيط — Design) لأحد مصانع الأثاث •

ويقيم سنيسغاللي الآن في روما ، بعد أن تخلى عن العمل ، مواصلا انتاجه الأدبي والشعري • وأعماله الأدبية كثيرة جداً ومتنوعة ، وللشعر منها حظ كبير • وكان أول من اكتشف شاعريته وأشاد بها ، ولفت اليه الأنظار في الثلاثينات من هذا القرن ، الشاعر الكبير (جوزيبي أونغاريتي — G . Ungaretti) الذي كان الايطاليون يدعونه باسم (الشاعر — Il poeta) تمييزا له عن غيره من الشعراء المعاصرين ، وتقديرا لشاعريته الفذة •

والايطاليون يعتبرون سنيسغاللي واحدا من رواد المدرسة (الهرميتية —

Ermetismo) التي كان أونغاريتي خالقها في ايطاليا وزعيمها •

من أعمال سنيسغاللي الشعرية العديدة نذكر هنا ما يلي :

١ ــ رأيت ربات الشعر ــ (Vidi Le muse) قصائد ١٩٣١ ــ ١٩٤٢

٢ ــ مقابر اليزي الجديدة ــ (I nuovi campi Elisi) قصائد ١٩٤٢ ــ ١٩٤٧

٣ ــ الكرم القديم ــ (La vigna vecchia) قصائد ١٩٤٧ ــ ١٩٥٦ •

٤ ــ عمر القمر ــ (L'eta' della luna) قصائد ١٩٥٦ ــ ١٩٦٢ •

٥ ــ الدوري والأبرص ــ (Il passero e il lebbroso) قصائد ١٩٦٢ ــ ١٩٧٠ •

٦ ــ نسيان ــ (Dimenticatoio) قصائد ١٩٧٥ ــ ١٩٧٨ •

٧ ــ ذباب في الزجاجة ــ (Mosche in bottiglia) قصائدلم تنشر بعد•

وأما انتاجه النثري فكثير خصب ، وكل أعماله الأدبية أعيد طبعه مرارا • وقد أصدرت دار (موندادوري ــ Mondadori) للنشر في ميلانو ــ ناشرة القسم الأكبر من أعماله الأدبية ــ مجموعة كبيرة من قصائده ، اختارتها سنة ١٩٧٤ من مختلف مجموعاته الشعرية ، ونشرتها في كتاب واحد ، قدم له الكاتب (جوزيبي بوتيجيا Giuseppe Pontiggia) بدراسة موسعة ضافية حول شعره وتطوره • وهذه الدراسة النقدية الواسعة تجعلنا نسير مع الشاعر في مختلف مراحل حياته الشعرية ، وتضع في يدنا المفتاح الذي يفتح لنا الباب لنعيش مع الشاعر ، ونستمتع بقراءة شعره وتذوقه • وكذلك شاء الشاعر نفسه ، في مقدمة ديوانه (نسيان) ــ وهو أحدث دواوينه ــ أن يضع في يدنا

مفتاحا آخر للمرحلة الأخيرة من تطوره الشعري ، وكيف صار يفهم الشعر ويكتبه في الطور الأخير من حياته .

وهذه المقدمة مهمة جدا لفهم الشاعر في ديوانه الأخير ، الذي أصبح فيه الشعر عنده خطرات سريعة وأفكارا عجلى ، يكتبها في سطور قليلة جدا ، قد لا يستسيغها القارىء العربي ، وقد لا يجد فيها شعرا حقيقيا ، ولكنها مع ذلك لون من الشعر الغربي الحديث ، قد لا تتجاوز القصيدة منه الشطرين أو الثلاثة . ومن ذلك ، مثلا ، ما يلي :

١ ـ قصيدة (النار المشتعلة ـ Il fuoco acceso)

النار المشتعلة
هي صديق بعيد

٢ ـ قصيدة (الرفيق الشرير ـ Cattivo compagno)

الرفيق الشرير
لديه نبأ سار
يخفيه عنك

٣ ـ قصيدة (الرفيق الشرير ـ ٢)

عند رؤية الكنز
يطلب اليك أن تدير وجهك

٤ ـ قصيدة (النار تدعونا ـ Il fnoco ci chiama)

النار تدعونا ، تتكلم

تريد أن تفضي الينا بنبـأ سار

مثل هذه النماذج هو مجرد خواطر سريعة عابرة ، لايرى العربي ــ الذي ألف المطولات الموزونة المقفاة ــ لدى قراءتها شيئا مـن الشعر ، لأن الشعر العربي لم يأت قط بمثل هذه الطريقة • غير أن أحدث ما وصل اليـه الشاعر الايطالي سنيسغاللي في شيخوخته من مفهوم الشعر هـو هذا الضرب مـن الكلمات التي « لا يدفن الشاعر نفسه تحت ركامها » ، بل يكتفي منها بمـا يعبر بسرعة عن فكرته أو عن الصورة التي في نفسه • ومثل سنيسغاللي كثير من الشعراء الايطاليين ، والغربيين عامـة • ومن قبله كان لشاعر ايطاليا الأكبر في العصر الحديث ، جوزيبي أونغاريتي ، (قصيدة) مشهورة جدا في ايطاليا، تتألف من كلمتين فقط ، هما :

M'illumino
d'immenso

وترجمتها : استنير

باللانهائـي

والواقع أن الشاعر الغربي اليوم لم يعد يهمه عدد الكلمات أو الأسطر التي تتألف منهـا القصيدة ، بمقدار ما يهمـه ما تتضمنه الكلمة من صور وايحاءات نفسية • فأنت حين تقول : « أستنير باللانهائي » ، وتطلق خيالك مع ايحاءات الكلمتين الصغيرتين الكبيرتين في آن واحد ، تعيش جوا شاعرياً من الخيالات التي يوحي بها (النور) و (اللانهاية) وما بينهما من آماد لا يحصرها حد • وهي صور غير محدودة ، ومترقرقة بجمال لانهائي • وهـذا ما أراده الشاعر أونغاريتي ، وهذا ما أدركه قراؤه ، فكان لقصيدته هذه ما لها من شهرة

واسعة لدى الايطاليين • وفي شيخوخة أونغاريتي ، جاءت مجموعته الشعرية الأخيرة (مفكرة الشيخ ــ Il Taccuino del vecchio) وكل قصائدها تقريبا من الخطرات القصيرة ، القليلة الكلمات والأسطر •

وشاعرنا سنيسغالي يبرر للقراء لجوءه الى هذا الاسلوب ، فيقول في مقدمة كتابه (نسيان) :

« مؤلفاتي الأولى غلبت عليها روح الهندسة ــ حس القياس والموقع ــ أي الاهتمام بالتجانس الهندسي ووحدة الصياغة • ومنذ أواخر الخمسينات بدأت بالتخلي عن المادة التعبيرية ، التي فقدت التلاحم والثبـات ••• وهذه المجموعة الأخيرة تجيء لتحل باصرار محل القاعدتين الكلاسيكيتين : الدقـة والتشابه » •

ARCHIVE
http://archivebeta.Sakhrit.com

ويذكر أنه قضى ثلاث سنوات وهو يكتب قصائد هذه المجموعة ، وفي كل مرة يمحو ما كتبه ويعيد كتابته من جديد •

ويقول أيضا : « ان الحياة دائما تقلد الحلم في عدم نظامه ، الذي يظل ينمو مع تمادي العمر • وقد كان هذا مدعاة دهشة كبيرة لي • كنت أحسبني قد اكتسبت الوضوح ، غير أن التعقيد نما لديّ ••• لقد بلغت وأنا أكتب هذا الكتاب الى عتبة الستين ، وكثير ما انتابني شعور بالموت ، وبأنني قد متّ فعلا • لقد مر الزمن سريعا ، ومرت بي ظروف أصابتني بعمق وقلبت أوضاعي ، فلم تعد لديّ طاقة كبيرة على المقاومة • انني أحاول أن أدفن نفسي تحت هذه الأكوام من الكلمات • وهذه المقاطع الأخيرة يبدو أنه ليس بينها وبين الشعر غير القليل من الشبه ، والقليل كذلك من الشبه بالنثر » •

وأما فيما يتعلق بالموضوعات التي يستلهمها شعره ، فيقول :

« الأماكن كانت دائما تسحرني • وما يزال يلاحقني الى الآن ، بعد حياة كاملة ، تذكار تلك الأماكن التي قضيت فيها ولو لحظات قليلة فقط ، والتي مررت بها مرورا عابرا » •

ويقول أخيرا :

« في حالات نادرة تقطر من طرف القلم كأنها وحـي ألهمتنيه ارادة الله الخيرة ••• وهذه القصائد لم تولد غنية حتى تصاب بالفقر • واقتصاري على أقل ما يمكن من الكلمات لم يتم على الورق ، وانما تم في اعماق وعيي » •

هذه المقدمة ــ كما نرى ــ مهمة جدا لكي نفهم قصائد الشاعر سنيسغاللي في مجموعته (نسيان) التي تضم قصائده المكتوبة ما بين عامي ١٩٧٥ و ١٩٧٨ ، وهي تمثل الطور الأخير من أطوار حياته الشعرية •

ولقد تساءلت أنا نفسي فعلا حين شرعت في قراءة قصائد المجموعـة : « وأين الشعر في هذه الخطرا تالسريعة ، والأفكار العجلى ؟ » • فلما عدت الى المقدمة وقرأت اعترافات الشاعر هذه ، أدركت الحقيقة التي أرادها الشاعر، مثلما أدركت من قبل مفهوم معلمه وصديقه الشاعر أونغاريتي ، وعرفت أنه انما تعمد الاقتصار على أقل ما يمكن من الكلمات بملء الوعي والتصميم ، كما يقول • وكنت في بعض دراساتي للصديق الشاعر الايطالي الراحل (سلفاتوره كوازيمودو ــ Salvatore Quasimodo) قد قلت أنه « يضع المعاني الكبيرة في أقل مايمكن من الكلمات » •

والشاعر هو الذي يخلق الشعر ، وليس الشعر هو الذي يملي عليه نفسه بأشكال معينة • وكما يتصرف الفنان الرسام بألوان لوحته وخطوطها ، وظلالها وملامحها ، وكما يتصرف الموسيقي الفنان بنوطات سمفونيته وأنغامها، كذلك يتصرف الشاعر الفنان بكلماته ، وبفنه الشعري ، ويهب لوحاته الحياة التي يحسها هو ، والتي يريدها هو • الشعر لا يملى املاء ، ولا يضع له الآخرون القواعد ، لأنه يتدفق من أعماق النفس الشاعرة ، ومن صميم حس الشاعر ، ويولد من أنفاسه ونبضات قلبه ، بالشكل الذي ينبض به قلبه ، وليس للآخرين سوى أن يقبلوه ويتجاوبوا معه ، أو يرفضوه وينكروه • ولا يملك الشاعر أن يقنعهم بالقبول أو بالرفض ، لأن شعره وحده هو الذي يتحدث اليهم •

ونأتى الآن الى الدراسة الضافية التي قدم بها جوزيتي بوتتيجيا لمجموعة المختارات الشعرية التي جمعتها دار (موندا دوري) من دواوين الشاعر ، وأصدرتها سنة ١٩٧٤ •

في هذه المقدمة يروي بوتتيجيا نبذاً من حياة سنيسغاللي الشعرية ، كما رواها الشاعر نفسه في أكثر من كتاب ، وفي أكثر من مقابلة صحفية • فهو يقول : « منذ عام ١٩٢٦ ، حين سجل سنيسغاللي طالبا في كلية الرياضيات في جامعة روما ، « يمكنني القول انني عرفت أياما من الغيبوبة ، ما بين الخامسة عشرة والعشرين من عمرى ، بفضل الرياضيات» • ثم يضيف بوتتيجيا :«ولكي نصل الى أزمة عام ١٩٢٩ ، حين رفض دعوة (فيرمي — Firmi) الى المداومة على معهده الفيزيائي « كان يمكن أن أجد نفسي في فريق الشبان الذين افتتحوا

العصر الذري ، غير أنني فضلت أن أتبع الرسامين والشعراء ، وأتخلى عن النشاطات الاشعاعية الصناعية » •

وينقل بوتتيجيا من كلام سنيسغالليي قوله : «أن اللاشعر هو الأرض الخفية للشعر » • ويعزو شاعرية سنيسغالليي الى العلوم الرياضية التي شغل بها نفسه ، وجعل منها مفتاحا للشعر • وينقل كذلك قوله في رسالة وجهها الى (جانفرانكو كوتتيني — Gianfranco Contini) : « في عمل الشاعر ، لأجل ولادة الشعر ونموه ، تدخل في اللعبة شحنات من الطاقة لا قياس لها ، وقد تعيش لحظات عابرة جدا ، وتنتهي بنفخة • ومع ذلك ليست ظواهر العالم الفيزيقي هي التي تستطيع أن تقدم لنا ما يشابه هذه النقلات ، بل هي بعض الظواهر البيولوجية العالمية ، وظواهر النواة » •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويعلق بوتتيجيا على ذلك بقوله : « على كل حال ، ليس المهم تحقيق التقارب اللغوي في العدد والكلمة ، بمقدار ما هو فهم الصلة بينهما ، واكتشاف حدس وحيد وراء كل منهما لما هو حقيقي » •

ثم يؤكد أن سنيسغالليي، بعد اكتشاف الشاعر أونغاريتي له سنة ١٩٣٦ • على أثر ظهور مجموعته الشعرية (١٨ قصيدة) ، وبعد المقدمة التي كتبها أونغاريتي لهذه المجموعة ، والتعليق الذي عقب به عليها الناقد المشهور (دي روبرتيس — De Robertis) قد أصبح بين أبرز قادة الشعر الهرميتي في ايطاليا ، الى جانب (بيتوكي — وغيتو — وسيريني — ولوتسي) •

وحول الخصائص البارزة في شعر سنيسغالليي ، يقول بوتتيجيا ان

(لوكانيا) ــ المنطقة التي ولد ونشأ فيها الشاعر ، وبيئتها البدائية الفقيرة آنئذ ، كانت المدى المفضل في شعره ، ففيها تذكارات والديه الحبيبة، وتذكارات طفولته وحداثته • فهو لذلك يعود الى هذه الأرض اللوكانية في كل كتاب من كتبه الشعرية • ويذكر بوتتيجيا من كلام الشاعر قوله : « هنالك أماكن نود لو نظل مدفونين فيها • ونحن ننطلق بحثا عن هذه الأماكن » •

أرجو أن يكون في هذا الذي نقلته من ايضاحات الشاعر نفسه ، ومما أورد الناقد بوتتيجيا ، ما يكفي لالقاء الضوء على أعمال الشاعر سنيسغاللي الشعرية ، لكي أنطلق الآن الى تقديم ترجمات لنماذج من قصائده التي تضمنتها دواوينه المختلفة •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الترجمات

١ ــ الذكرى السنوية ــ Anniversario

أشجار توت
تحيط بالمقبرة •
وأمي
مذكورة بكتابات باهتة
على شاهد قبر •
ثلاث وثلاثون سنة
مرت منذ أن أضجعوها
على السرير • وعبر الوادي كان يمر

جنود هاربون • وبصعوبة
وجد رجـال ليحملـوا
التابـوت •
مساء أمس ،
في ساحة القديس نقولا ، قالت لي أديلينا :
« لقد ماتت أمك قلقة البال ،
ولم أستطع أن أغمض عينيها الا بصعوبة •
لم يكن يبدو أنها راضية بذلك » •
« قد أثير اشفاقك
لو استطعت أن تراني ، فان عللي
لا يمكنك أن تشفيها ، لأنها
أقـدم منك » •

* * *

٢ ـ الحاشية ـ La corte

أتحرك وخلفي حاشية صغيرة :
فالذباب يتنقل
في الأماكن الميتة ، وفي حافظة النظارات ،
وعلى مقدم الأحذية •
وهو يتطاير كلما انحنيت
على دفاتري • ان به داء الأدب ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتطير بلبـــه رائحة
الكتابة •

* * *

٣ ـ عش ـ Un nido

بنى فنشنسو عشـــه
على حافـــة واد •
بيت ذو غرفتين ،
وفرن في الطابق الأرضي ،
ومخزن ، واسطبل •
ولقد أحصيت ثلاثة خنازير ، وكلبين ،
وقطا ، ونحو ثلاثين صوصا ،
وبطتين • وفي كهف
تحت الجسر ، يريد أن يحفر
حوضا للأسماك : يقول
ان حوريات البحر السابحات ضد التيار
قد يصعدن من البحيرة الى هنا •

٤ ـ على البيدر ـ A bel vedere sull'aia

على البيدر
رقدنا ليالي عديدة ،

أيدينا مغروزة في القمح ،
والكلاب تحرس نومنا •
وكانت قدماك أكثر وداعة
من الحمائم الوهمية
التي نصنعها من قماش المناديل البيضاء •
كان بين شعرك خيوط من القش :
وعلى كتفيك تحركين المرج
بأغنبة مترجرجـــة •

❋ ❋ ❋

٥ ــ الأطفال يلصقون النقود الحمر ــ I fanciulli battono le monete rosse

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الأطفال يلصقون النقود الحمر
على الجدار • (وأحيانا تسقط
على الأرض برنين حلو) • ويصرخون
بأعلى أصواتهم في مثل نار الحرب •
ويتبادلون الدعابات المتكبرة ،
والشتائم اللذيذة جدا • والمساء
يلهب جباههم ، ويثير شعرهم ،
وينزل على الحجارة دافئا كالدم •
ثم تخلو الساحة ويعود اليها الهدوء •
وتستقر النقود الملصقة

واحدة قرب الأخرى ، وبينها مسافة شبر •
ويضغط الطفل على الأرض
بيده الظافرة •

* * *

٦ ـ الشمس تفتح لك يدها الفخورة ـ Il sole ti apre la mano superba

الشمس تفتح لك يدها الفخورة
وسأم النهـــار
يتخذ مثل حرارة الجسد •
لقد كسرت الشجرة روابط الهواء ،
والأرض كلها تشارك في ذلك •
والنور منتشر
لينمو على الحجارة ،
والحيوان يمضي في تذوق الحشائش القليلة •

* * *

٧ ـ مقابـــر إليزي ـ Campi Elisi

هنالك ، في مقاطعة آغري الحلوة ،
تتناثرون على الضفاف الحالمات ،
يا أهلنا الراقدين في الظلام •
ان جثثكم قد منحت العافية
لخضرة الجنان •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد امتدت حقول الفول
عبر الحواجز :
حيث يحترق عمر الورد في كبرياء
وتدوس الماعز الأرض
في أيام الجفاف • .

٨ ـ شاهدت ربات الشعر ـ Vidi le Muse

على الرابية
رأيت حقا ربات الشعر
مضجعات بين الأوراق •
لقد شاهدت حينئذ ربات الشعر
بين أوراق البلوط العريضة
يأكلن ثمار البلـــوط والتـــوت •
لقد شاهدت ربات الشعر يندبن
فوق بلوطة دهرية •
ودهش قلبي لذلك ،
وساءلت قلبي الدهش ،
وحدثته عن دهشتي • .

٩ ـ القصائد القديمة تعود الى الذاكرة ـ
Ivecchi versi tornano a memoria

ها أنذا تعزيني

حكاية الوردة
التي يمحوها الثلج (وعلامة
حية ، هي جذوة سيجارتك) .
وها قد ضاعت في الظلام
مظلات (ترينيتا داي موتتي)[1]
فاذا كانت خطانا عميقة
فسنجد السلام في مملكة
لاينتظرنا فيها أحد .

١٠ ـ الى ابـي ـ A mio padre

الرجل الذي يعود وحيدا
في المساء المتأخر من الكرم
يغسل اللفت في البركـة ،
ويبرز من الزقاق ومعه القش
الملوث بلون الصدأ .
الرجل الذي يحمل التراب الطري
على حذائه ، ورائحة
المسـاء الباكـر في ثيابـه ،

---

(١) ترينيتا داي مونتي : مكان مشهور في قلب روما ، عند ساحة اسبانيا ، يعج دائما بالفنانين والسياح .

يتوقف عند العين ، ويتحدث
الى البستاني الذي يقتلع نبات الشومر •
انه رجل ، رجل ضئيـــل ،
وأنا أنظـــر اليـــه من بعيـــد •
انه نقطـــة حية في الأفـــق •
ربمـــا كان بؤبـــؤ عينيـــه
سيتوهـــج هذا المســـاء
الى جانب حوض الأسماك
حيث يجفف جبينـــه •

* * *

١١ ــ يا لهذا الصباح العجيب ! Che incredibile mattino

يا لهذا الصباح العجيب !
ألسنة الكلاب يتصاعد منها البخـــار
وسلفسترو قريب مني •
ولم يعد بوسعي أن أميـــز
رنين الأجراس : أهي من كنيسة القديس أنطونيـــو
أم من كنيســـة القديس يعقـــوب ••• نحن في قلب الوادي
وكأننـــا في قلب بحـــيرة •

* * *

١٢ ــ سفح جبل ماريو (١) ــ Pendici di Monte Mario

تزهر الحصى اللامعــة
بين أعشاب الرابيــة •
وها هــي ذي أوائل الأوراق تلتــف
على الأشجار من حول المدينة •
وها هي ذي أول ضربــة فأس تصــل الى هنــا •

١٣ ــ شعلتان ــ Due fiammelle

لقد تركتم نجما مظلمــا
في عينيّ ،
ورائحــة الشتاءات
بين الصفحات الباهتــة
من دفاتري العتيقة •
ولقد عشت في قلب
سمائكم المحرقــة
وحرقت مثلكم
حياتي عبثــا •

١٤ ــ قمر أيلول الجديد ــ L luna nuova di Settembre

قمر أيلول الجديــد

---

(١) جبل ماريو : حي جميل من أحياء روما ، يقوم على جبل مرتفع خلف الملاعب الاولمبيــة .

قذف بالأولاد الى الطرقات •
انهم ينفخون في أيديهم ، وبشيء من الشقاوة
وشيء من الجنون ، يعابثون
ابن عرس المتألـــم •
وينسابون في الأحواش
ما بين الأشواك والنفايات
ليقوموا بغاراتهم •
ان لهم أجنحـــة في أقدامهم
ويحشرون البَيض الساخن في جيوبهم •
ويساعدهم القمر بأن يلقي النـــوم
في عيون الحُراس •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٥ ـ امسية من آب ـ Sera d'Agosto

أنا هنـــا في هذه الأمسية
خلف نسيج العنكبوت
الذي يحرس عرشك :
كل نجم هو أقل من لا شيء
كذبابة لامعـــة من منطقة لوكانيا •

١٦ ـ الكرم العتيق ـ La vigna vecchia

أجلس على الأرض

الى جانب مستودع التبن في الكرم العتيق •
والألاد ينتزعون الجـوز
عن أغصانه ، ويدقونـه بين حجريـن •
وأنـا أدهن يدي بالحامض الأخضر
وأستمتع بالهواء الآتـي من أعماق الأشجار •

* * *

(من ديوان « نسيان » الذي يمثل آخر طور من أطوار شاعرية سنيسغالليي)

١٧ ـ اقترب منك ـ Ti vengo vicino

أقترب منـك لأراك •
عليّ أن أحمي عيني
مـن الأشواك •
بوسعي أن أناديك
وليس من يسمعني في الحديقة •

١٨ ـ في الانتظـار ـ Sto in attesa

أترقب ، وأنظـر
الى هناك لأرى متى ستنفجر
الأزهار من بين الأوراق

١٩ ـ أماكن عزيزة ـ C'ari luoghi

الأماكن العزيزة هي حيث

يبدو لك أنك تسمع

تسمع صوتك بصورة غير مباشرة

٢٠ ـ تجيء الريح ـ Arriva il vento

تجيء الريح الفاترة ،
الريح القادمة من سالرنو ،
لكي تمنح السفرجل حلاوة •

٢١ ـ يدك ـ La tua mano

يــدك
محفوظة في مخبـأ
من الذاكــرة •

٢٢ ـ أمــك ـ Tua madre

تحمل اليك أمّك في السرير

بيضتــين مقليتــين

قبل أن تسافــر •

وينزلق الحذاء من قدميك

فيسقط في القناة

وليس في وسعك أن تسترده •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢٣ ـ الشمس والقمر ـ Il sole e la luna

الأطفال المتراصون على الدرج خلف الأبواب
هم ، عند الفجـــر ، أول من
يستمتعون بشمس الطرقات
المنحـــدرة •
وفي المســـاء
على الحجـــارة عينهـــا
ينتظرون القمر •

٢٤ ـ الشمس عند شروقها ـ Il primo sole

الشمس عند مشرقهـــا
تصل الى الساحة على ظهر جواد
لتنشر الرعب •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢٥ ـ الى جو تلسون ـ A Joe Tilson

الفن لا يحميـــه
السحر ، والرموز
هي أشياء مبتذلة جـــدا •
وأما الشعر فينبغي أن يجيء نابضـــاً بالحيـــاة •

٢٦ ـ خمـــول ـ Pigrizia

لدىّ مشـــط

لــه سن واحــد ،
وفرشاة ليس فيهــا
غير شعرة واحــدة •

٢٧ ـ الكتاب الأســود ـ Libro nero

اسم آخــر
في كتاب الأصدقــاء
المفقوديــن

٢٨ ـ التعاسة ـ La sventura

التعاسة تجعلنا أفضل مما نحــن
وهي لا تذلنــا ، بل تمجدنــا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢٩ ـ اعتزلت الناس ـ Mi straniai

لقد اعتزلت الناس
فلم أشــأ أندادا
ولا رفاقــا

٣٠ ـ الى روبرتو لنتزالونــه ـ A Roberto Linzalone

يــدا الأمّ
تعجنان الشعر والحقيقــة •
في الخبز كُتبت المساواة •

وهذه ، دون ريب ، حكاية أزليـــة
تنادون بهـــا على ضـــوء الفانـــوس •

٣١ ـ الأسماء والأشياء ـ Nomi e cose

تنفصـــل الأسمـــاء
عن الأشياء • انني أرى أشيـــاء
وأشخاصا • ولم أعـــد أتذكـــر
الأسماء • ان العالـــم
بخطوات صغيرة
يبتعـــد عنـــا ،
ويصبح الأصدقـــاء
في عالم النسيان •

٣٢ ـ غيـــاب ـ Assenza

تبقى الأشيـــاء
حتـــى عندمـــا
تغيب العـــين •

٣٣ ـ بهـــدوء ـ In pace

أمضـــغ بهـــدوء
خبزا يابســـا
أمام الغســـق •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٣٤ ـ برهـان ـ Evidenza

لست أرى ما خلفـي
ولا ما تحتـي ، وانمـا أرى السطح فقـط .

٣٥ ـ حكاية شتاء ـ Racconto d'inverno

المطر يضرب على الزجـاج
وأنـا عليّ أن ألازم طوال المسـاء
شخصـا ممـلا .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صدر حديثاً

عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق

آخـر اخبار قريـة العليق

قصص — زكريا شريقي

أدبُ الأطفال في انكلترا

د. عبدالرزاق جَعفر

يطلق النقاد على الادباء الانكليز الذين يكتبون للاطفال والفتيان نعت « الكتاب الحقيقيين للاطفال » . سوف نحاول في هذه المجالة التعريف بأدب الاطفال في انكلترا : منابعه البعيدة ، والصفات التي يتصف بها ، وأهم مؤلفيه الكلاسيكيين والمحدثين ، وأبرز المؤلفات التي وضعت للاطفال والموضوعات التي يعالجها هذا الأدب .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مصادر أدب الأطفال في انكلترا

يستمدّ أدب الطفولة وجوده من (الفولكلور) بل من كل ماهو حيّ ودائم في هذا (الفولكلور) . الا أن أدب الطفولة في انكلترا يشذّ عن هذه القاعدة ولا يدين بشيء للأفكار والحكايات (الفولكلورية) التقليدية .

إن سحر أدب الأطفال في انكلترا كامن في طبيعته الفريدة المناوئة للواقعية الى درجة تكاد تكون مفرطة ، فهو ليس تعويضاً عن الواقع أو قفزات في نقل الرموز كما يقال بل هو تحوير بسيط للواقع وانتقال الى عالم آخر مغاير

للحياة الحقيقية لا نرى فيه نقاط ارتكاز عادية مألوفة • بكلمة أخرى ان هذا الأدب يتركز في « البحث عن الوهمي » •

١ ــ اهازيج الادوار :

ولقد جرت العادة في الأدب ، وغير الأدب ، أن نبحث دائماً عن الأصول والمنابع • لذلك يمكن أن نقدر وجود منبع لهــذا الفيض الهائل في الأدب الطفولي الأنكليزي الذي يتميز بجودة القريحة وخفة الروح والافراط في المبالغة • وهذا المنبع لا يمتّ الى الأفكار العامة (الفولكلورية) بصلة • بل انه يدين بوجوده الى (فولكلور) معين هو « أهازيج الأدوار » التي ترافق ألعاب الأطفال الجماعية وتتميز بالتناوب في الأدوار : « من عليه الدور ؟ » •

المعروف أن ألعاب الأطفال الجماعية ، عند كل شعوب العالم ، ترافقها أهازيج وأغان ، ولازمات ، لكن أهازيج الأطفال في انكلترا تحمل طابعاً خاصاً متميزاً •

ان هذه الأهازيج مجهولة الأصل • ويقال انها ابداع طفولي جماعي تكدّس عبر العصور وانتقل من الأفواه الى الآذان وكان يُغنى على شكل طقوس ايقاعية عند اللعب • وتتصف الأهازيج الانكليزية بوفرتها وتنوعها وكثرة المفاجآت فيها • وهي لا تكتفي بالجرس الموسيقي ودوي القافية ولذة اللحن بل انها تدفع الصغار الى الحركة والاستمتاع بهذه الحركة والى الانشاد المرافق لايقاع الرقص كما تدفعهم الى التآلف والمحبة وادراك معنى التعاون • وتتحدد الأغاني وأوزانها وفق الحركات الايقاعية الراقصة • ينقسم الأطفال الى فريقين في الحديقة أو الروضة • يبدأ أحد الفريقين الحفلة • وحين ينتهي

دوره يردّ عليه أفراد الفريق الآخر منشدين راقصين ••• وهكذا ••• كل ذلك بايقاع جميل مرح •••

ومن أهازيج الأطفال (أو أناشيد الحضانة) الضاحكة الصاخبة الجريئة أحيانا تولد شخصيات وتخلق صور بصرية : الأم العجوز هوبارد ، والآنسة الصغيرة وعنكبوتها ، وجاك هورنر ، وخادم القلوب الشره واللص ، والسيدة الجميلة ذات الخلاخل ، وتويد لدوم وتويد لدي الشرسان اللذان يرقصان الراقصة الأبدية حول صغار الانكليز ••• تلك القصص جمعها (نيو بيري) الذي عاش بين (١٧١٣ ــ ١٧٦٧) • وهي تعتبر القصص التقليدية (الكلاسيكية) في مكتبات الأطفال في انكلترا منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر • وقد اهتم برسومها أشهر الرسامين من أمثال (كانت غرينواي) و (ليسلي بروك) و (كالدكوت) وغيرهم • ولقد سحرت شخصيات هذه القصص ألباب الكتاب والشعراء الانكليز ومخيلاتهم •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢ ــ اللامعاني :

كذلك يمكن أن نرجع جزءاً من أدب الأطفال في انكلترا الى تأويله المتنوع والفريد للواقع • ذلك التأويل (الكاريكاتوري) • فقد اشتهر الأدباء الانكليز بهذا الفن أيضاً وامتازوا به عن غيرهم •

كان أول كتاب ظهر في هذا الميدان هو (كتاب اللامعاني) الذي وضعه (ادوار لير) الذي عاش بين (١٨١٢ ــ ١٨٨٨) • يقصد بلفظه « اللامعاني » التلاعب بالألفاظ والاهتمام بالكلمات وتوليد الصور •

و « اللامعاني » مثل (أهازيج الأدوار) وأغاني الحضانة ، لها جذورها البعيدة • بدأت على شكل تسلية وتلاعب بالألفاظ بصورة بسيطة ساذجة • ثم تطورت • وهي معروفة عند كل الكتاب الانكليز • ونجد منها الشيء الكثير عند عملاق انكلترا (شكسبير) •

تتميز « لامعاني » ادوار لير بنكهتها الخاصة وشاعريتها الرقيقة • وهي عبارة عن مقطوعات صغيرة مؤلفة من خمسة أبيات خفيفة ذات قافية واحدة وتمثل قصة قصيرة خفيفة •

المقطوعات الأولى يجهل قائلها أو قائلوها • الا أنها ظهرت في دواوين صغيرة موجهة للأطفال بصورة خاصة • ثم جاء (ادوار لير) فوضع على نمطها مقطوعات تدور حول « ست عشرة عجوزاً » • فكانت مدهشة فعلاً :

كانت هناك عجوز مُسنّة من (ليد)
تنفق وقتها كله في الأعمال الطيبة •
وتعمل من أجل الفقراء
حتى أصاب المرض أصابعها
هذه المرأة التقية من (ليد) •

وعلى هـذا الانموذج المليء بالصـور نظم (إدوار لير) أكثر من مئتي قصيدة جعلها على شكل مقطوعات صغيرة مؤلفة من خمسة أبيات ذات قافيـة واحدة وتمثل قصة قصيرة • كانت هذه القصص ساذجة لكنها دليل على عبقرية هازلة متهكمة مسلية خدمت أدب الاطفـال خدمـة عظيمة حين أخضعته لقيمة جوهرية تبرز للمرة الاولى في انكلترا وهي « الحرية » •

المعروف أن التربية الانكليزيــة كانت تتصف بالتعسف والقسر وفرض النظام والعقاب • لذلك كانت هــذه القصص القصيرة المؤلفــة من خمســة أبيات تعبيرا عن الثورة ضد ظلم الآباء للأبناء • وقد اعتبر (إدوار لير) ثائراً حين نظم قصائده في موضوع « الحرية » •

ولم يكتف (إدوار لير) باتتاجه فأضاف اليه من عنده عشرين قصيــدة وقصتين أو ثلاث قصص صغيرة مسلية و (ألف باء) لا معنى له أيضاً • ونشر ذلك كله بين عام ١٨٤٦ وعام ١٨٨٨ فكان أهم أعماله الأدبية •

واذا أردنا التحدث عن هدف (لير) من عمله هذا قلنا ان هدفــه لم يكن واضحاً • فقصائده كانت تلاعباً بالألفاظ ، وهدفها التسلية قبل كل شيء ••• ان كتاب « اللامعاني » يعارض معارضة قوية ذلك المنهج التعليمي الذي كان سائداً آنذاك وطريقة البحث التي كانت تبعث الملل في النفوس • نجد فيــه عذوبة وخفة شبيهتين بما عرفناه عن « أهازيج الأدوار » وأغاني الحضانة • أضف الى ذلك الغنى الواسع ، الغنى الذي لا ينضب في مخيلة ما تفتأ تزدهر من ابداعاتها الخاصــة •

ولقد كان صغار الانكليز ــ ولا يزالون ــ يجدون متعة عظيمة ، « متعة إلهية » كما قال أحد النقاد ، عند قراءة (إدوار لير) لانه كان يسليهم بطرفــه القصيرة الرائعة • انه كان يسليهم بكل شيء•••وبذلك اعتبر ثائراً مجدداً •••

لقد استعان (ادوار لير) بالوزن والقافية ولجأ الى الصورة اللفظية • كان يرسم بالكلمات • وكانت صوره مضحكة مسلية •••! ويقال ان صوره

اللفظية هي التي أوحت بالدمى واللعب المشوهة الدميمة القاسية الخشنة المضحكة • لقد تحولت تلك الصور اللفظية الى دمى ولُعب ثم الى أشباح مفزعة أو مفرحة من المطاط واللدائن لكي تسلي أطفال الولايات المتحدة الامريكية واليابان ••• والعالم أجمع • ثم جاء وقت ابتدع فيه اخوان (ماركس) شخصياتهم الطريفة ، وتخيل فيه الرسام الامريكي الشهير (موريس سينداك) رسومه التي نشرها في كتابه المعروف « الاشياء المجنونة هي ••• » الذي يقارنه النقاد بكتاب « اللامعاني » ويرون أنه لايقل روعة عنه • والسبب في ذلك أن (إدوار لير) كان رساماً محترفاً أيضاً يرجع الفضل اليه بابراز شخصياته كلها بجرة قلم • انه يرسم بالكلمات كما قلنا •

بيد أن المظهر الآلي والقصائد الشبيهة بقصائد الطقوس الدينية والموجودة في « كتاب اللامعاني » والمتميزة ببساطتها وخفتها وتفاهتها أحيانا تخلق كلها ، حول الطفل ، عالماً مخلخلا في البداية • وبفضل إلحاحها وتكرارها ما يلبث هذا العالم المخلخل أن ينتظم انتظاماً كاملا وأن يصبح شيئاً ضرورياً فيما بعد ، شيئاً لايمكن الاستغناء عنه • هذا العالم سوف تكون الأشياء فيه « على هذا النحو » أو « هكذا » لأن الكلمات أو القافية أو الوزن أرادت ذلك ، وليس الفكر أو الواقع هو الذي يريد • عالم يكون فيه المجنون قد خلق « على هذا النحو » لكي يبحث عن خطيبته في الظلام ويصنع لنفسه أنفاً مضيئاً إذ أن من الطبيعي ألا يحصل المجنون على هويته الحقيقية الا اذا صار المجنون « ذا الأنف المضيء » •

كأن من المستحيل مقاومة سحر الكلمات والفرار من الصور التي يفرضها

علينا الحلم اللذيذ الممتع • ان كل هذه المبتكرات الطريفة تجهز وفق أشكال غريبة وتكمن في مزج أجسام متنافرة من الرسوم والكلمات تخلق بدورها عناصر جديدة مبتدعة لم يسبق لأحد أن رآها • والواقع أن كل عملية من هذا النوع تحتاج ــ لكي تنجح ــ الى أن تحاط بشيء من الروعة والمهابة وتتطلب إدراكاً لسر المبادهة • وهي لايمكن أن تكتمل إلا في بيئة مغلقة كالبيئة الانكليزية •••

٣ ــ وضع خاص للطفل الانكليزي :

لقد تساءل (بول هازارد) عما اذا كان ثمة كائن انساني في الدنيا أسعد من طالب انكليزي في مدرسة متوسطة في مدينة (إيتون) أو في مدينة (روغبي) • وكان عليه أن يتساءل ، بدلا من ذلك ، عما اذا كان هناك كائن يقتلع اقتلاعاً من العالم كله مثله بدعوى حمايته من الحوادث العامة • المعروف أن الطفل الانكليزي ، منذ طفولته المبكرة ، يوضع في عالم خاص يعيش فيه وحيدا ••• ملكاً • وقد ابتدع له مجتمع الراشدين ميدانين صنعيين تماماً هما : مدرسة الحضانة في البداية ثم المدرسة المتوسطة بعد ذلك • وهو يتحكم فيها كما يشاء • لكنه لايخرج منهما •••

لذا كان من نتيجة وضع الطفل الانكليزي في هذا العالم الخاص أنه ، حين ينفرد بنفسه ، حين يحظر عليه الاتصال بالعالم الخارجي ، كان يبني لذاته نمطاً خاصاً من الحياة يهرب فيها من السلطة القاسية الحمقاء التي يمثلها الراشدون • وفي داخل المدرسة المتوسطة ، كما هي الحال في الحضانة ، يقيم لنفسه نظاماً مستقلا من القيم والقواعد الواعية التي تحميه من الاعتداءات المحتملة التي قد

يرتكبها ضده من هم أكبر سناً منه ... كذلك قد يعيش الفتى الانكليزي فريسة الخوف من المجهول وضحية القلق الدائم • أضف الى ذلك أن انطواءه على ذاته سوف يدفعه الى الغوص في أحلام اليقظة المجنحة •

كان نظام التربية ، في انكلترا ، مبنياً على منطق السيد والعبد ، منطق الراشد المتحكم المتسلط والطفل المحكوم الخاضع • وقد جسد هذا النظام في المدارس المتوسطة عن طريق المؤسسة المعروفة باسم مؤسسة « التبعية » حيث كان يرغم كل تلميذ صغير يلتحق بالمدرسة المتوسطة على أن يكون أمين سر أو خادماً أو تابعاً لتلميذ أكبر منه •

وحين يكبر التلميذ الصغير يتخذله بدوره تابعاً من التلاميذ الجدد ، ومن هنا جاءت كلمة « التبعية » ، لابأس أن يتعذب التلميذ الصغير ويتألم • ومن المفيد أن نذكر أيضاً أن العلاقات التي كانت تنتظم بين الأفراد على هذا النحو والتي كانت تفلت من رقابة الراشدين ليس لها أي ارتباط مع مانسميه اليوم علاقات الصداقة والرفقة • اذ أن هذه العلاقات ، على الرغم من وجودها في الواقع وعلى الرغم من قدرتنا على التعرف عليها في الكتب كانت تثير النزعات السادية والنزعات المازوشية وتساعد على تثبيتها •

على الرغم من مهاجمة « مؤسسة التبعية » هذه ونقدها آلاف المرات وفضحها فضحاً لاذعاً ، في أدب الناشئة وفي غيره ، إلا أنها حافظت على امتيازاتها فترة طويلة من الزمن وصمدت أمام الهجمات العنيفة التي وجهت اليها • ويكفي أن نعود الى الكتب المدرسية (الكلاسيكية) المخصصة للأولاد في انكلترا والتي كانت تضم أيضاً روايات المدرسة المتوسطة حتى نجد النزعة

المثالية التي تجلت في : « أيـام مدرسـة توم براون ـ ١٨٥٧ » التي كتبهـا (توماس هوغ) ، وفي كتاب الايديولوجي الأديب (روديارد كيبلينغ) الـذي وضع له عنواناً « ستالكي وشركاؤه » • كذلك نجـد النزعـة الاصلاحيـة العاطفية التي يعبر عنها كتاب « إيريك أو شيئاً فشيئاً » الذي كتبه (فريدريك و • فارار) • وننتهي أخيراً بذلك الانفجـار الثـوري الـذي نراه في فيلم (ليندسابي آندرسن) • كل هذه الأعمال الفنية والأدبية كانت تعبر عن الثورة ضد النظام التربوي الانكليزي المعتمد على « مؤسسة التبعية » •

نحن ـ إذن ـ أمام وضع خاص كان يعيشه الطفل الانكليزي •

ولما كان من الضروري جداً اجراء الحوار مع عالم الراشدين من أجـل متطلبات عملية فقد أصبح لكل ولد وسيطان هما : الطالب الأكبر (أو العريف) المسلح بعصا الخيزران الظالمة والذي يملك حق فرض العقوبات على زملائه في المدرسة ، أما في البيت فهناك الخدم • وأهم شخصية بين الخدم هي الحاضنة أو المربية ، لقد كان الخدم آنذاك يديرون شؤون البيت المادية • لذلك لم يكن الأولاد بحاجة الى تكوين علاقات في سبيل الحصول على مصروفهم من آبائهم مثلا • وكان الآباء يقبلون بهذا الوضع لأنهم ربوا بالأسلوب نفسـه • لهـذا السبب كنا نجدهم يغضون النظر عما كان يجري في جناح الخدم •

٤ ـ آليس :

وكان أول من تنبه لما كان يجري في دنيا الأولاد المنعزلة هم كتاب أدب الأطفال • وكان أبرز هؤلاء الكتاب (لويس كارول) الذي عاش بين (١٨٣٢ ـ ١٨٩٦) • فهو حين حمل بنات العميد (ليديل) الثلاث على متن زورق انما

كان يتخيل لهن « مغـامرات آليس في عالم باطن الأرض ــ ١٨٦٥ » • ونحن عندما نتأمل وجه (آليس ليدل) الملائكي نجد أن من الصعب جداً الاعتقاد بأن مرافقة هذه الطفلة البديعة الناعمة يمكن أن توحي بخلق الأشباح • بيـد أن الأطفال الذين كان (لويس كارول) ، في الواقع ، يتسلى بتصويرهم لهم كلهم هذه الوجوه الصافية وتلك النظرات البريئة التي تميز طفلي « برج إيكرو » التي كتبها (هنري جيمس) في عام ١٨٩٨ • و « برج إيكرو » هي دراسة عن الشر بدون أدنى ريب • انها غوص في أعماق الحجيم ولقاء أعذب براءة وأعظم جنوح • والسبب في ذلك أننا نجد فيها فكرة جوهرية عن العلاقة القائمة بين الأولاد والخدم ، بيد أن هذه الفكرة الجوهرية قلبت رأساً على عقب حين عرضها المؤلف في مظهرها السلبي • فليس الأسياد الصغار هم الذين يجعلون الخدم شركاء لهم في ألعابهم وليسوا هم الذين يدخلون الخدم معهم في عالمهم، عالم الطيش ، والمرح ، بل ان الخدم هم الذين يقودون الرقص ويدفعون الأولاد حتى حدود الخطيئة والمعصية •••!

أما كتاب « آليس » فميزته الرئيسية هي أنه كتاب وضع للأطفال قبل كل شيء ••• وربما كان الكتاب الوحيد الذي كتب للطفل الانكليزي فعلا • إنه كتاب لايهدف الا الى التسلية ولا يتجه الا نحو المخيلة ، لذا ليس غريباً أبداً أن نعتبره الكتاب الأدبي الأول للأطفال •

لقد أبرز كتاب « آليس » الى الوجود أحد أسس الحياة النفسية الهامة : « القلق » ، وان مايميز القلق الذي نراه في كتاب « آليس في بلاد الأعاجيب » هو أنه ، بدون أدنى مناقشة ، يصف قلق الأطفال وحدهم • فنحن نصادف هذا

القلق منذ الصفحات الأولى • انــه يتجلى في كل مكان ، في كل لقــاء ، في كل مغامرة ، وحيث لايتوقع أحد حدوثه • هناك مثلا القلق من عدم النمو السريع، ومن البقاء صغيراً ، ومن الخوف من النمو والكبر أيضاً • هناك الفزع من أن يرى الطفل نفسه فجأة عرضة لتغيرات وتبدلات جسمية غير مفهومة وتحولات غريبة • وقد تصبح هذه المرارة ، في فترة من الفترات ، خجلا وعذاباً حقيقيين • لانعتقد أن مؤلفاً آخر استطاع أن يعبر عن الانفعالات التي تظهر في مواقف الارتباك والعدوان تعبيراً أفضل مما نراه في مغامرات « آليس » • ولا نظن أن كاتبــاً تمكن من وصف دقائق الخجل التي تجعل الطفــل أخرس واحمق إزاء حكمة الراشدين كما فعل (لويس كارول) • لم تكن « آليس » عاجزة عن الاجابة عن الأسئلة التي تطرح عليها فوراً فقط بل انها كانت تجد نفسها محاصرة بصيحات وأحاديث غير مفهومة قد لاتسمع كلماتها بوضوح • وأشهر مثال عن عجز الانسان عن فهم اللغة عند الأطفال نجده أمام أقداح الشــاي مع بائــع القبعات المجنون • كما نجده ، بصورة بارزة ، في كل فصل من الفصلين اللذين يتألف منهما الكتاب •

هنا يمكن أن يكون من خطل الرأي الادعاء بأن الكلمات ليس لها معان • بالعكس تماماً • انها تحتفظ بمعانيها الدقيقة بشكل مضبوط ومنطقي • وهذا سر تحتفظ به اللغة والكلمات • فاذا تناولنا الكلمات بمعناها الحرفي أصبحنا عبيد اللغة وحواجزها وقيودها وبقينا جامدين في أماكننا لانحيد عنها • كذلك اذا ظلت الكلمات جامدة في معانيها الأصلية فقد المظهر الخارجي للأشياء والناس طابع الثبات والاستقرار • ان العالم الخارجي المرئي في تحول دائم واضطراب مستمر ، انه يتملص منا ويخضع لاندفاعات فجائية : فالطفل قد يصبح خنوصاً

(خنزيراً صغيراً) والبائعة العجوز قد تتحول الى عنزة • والقطة تختفي دون أن تخلف وراءها الا ابتسامتها • وفي نهاية المطاف تتطور « آليس » وتنمو في عالم تسكنه الأشباح • من أين تأتي هذه الأشباح ؟ هل هي شخصيات « أهازيج الأدوار » ؟ أم أنها ناتجة عن التلاعب بالألفاظ والتراكيب المضحكة الجاهزة ؟•

٥ ــ أدب الاطفال وعلم نفس الطفل :

ونحن اذا حاولنا اجراء موازنة بين (لويس كارول) الانكليزي و (آندرسن) الدانمركي وجدنا أن القصة عند (لويس كارول) لاتنطلق من الملاحظة الخارجية للعالم الخارجي أو لعاطفة الحياة ومدتها أبداً بل تنطلق من نفسية الطفل ذاته •

ومن أيام (لويس كارول) حتى أيامنا هذه سوف ينقب كتاب الأطفال في أسرار هذه النفس الانسانية وسوف يسعون جاهدين لاعادة خلق ما كان يجري في فترة الحضانة في انكلترا ••• وشيئاً فشيئاً سوف تتكون صورة « الأولاد المرعبين » الأولاد الجهنميين لأنهم مرعبون فعلا (كما يرى جان كوكتو) • والسبب في ذلك أن ألعاب الأطفال في هذا العالم المتسمم ، عالم « الفرقة » ، وفي فوضى الأشياء ، وتفادي كل تنظيم للوقت سوف تؤدي الى الفاجعة حتماً ••• إلى الاستعداد لاكتشاف الكنز ، والاختلاط البريء ، والمشاحنات ، والاستغراق الشديد في أحلام اليقظة التعويضية ، ومما يسمونه « الانطلاق بعيداً » ••• ألعاب وحماسة تبلغ ذروتها ••• وتتائج هذه الأمور كلها قد تؤدي حتماً الى الفاجعة •••! بالأخص عندما تصبح غرفة الأطفال مرسحاً لرقصة شاذة ينفذها أناس متحمسون ويمثل فيها أربعة من الوحوش

الضارية التي أصابها المس والتي تشبه شخصيات (راسين) ، دور لعبة الحب والموت الغامضة ... وهنا يتفق الذين يكتبون للأطفال مع الذين يكتبون عن الأطفال بكل تأكيد . لذا فنحن نسيء تصور قدرتنا حين نقدم للفتى المراهق هذه الصورة عن نفسه أو بالأحرى يصعب علينا تحديد ميدان أدب الأطفال في معظم الأحيان والواقع أن استخدام الألفاظ يتحدد حسب رؤية المؤلف وتفاؤله أو تشاؤمه . فقدرة المرء على الصمت والتكتم في فترة أحلام اليقظة والشيطنات ، وتباين السلوك المفاجيء في المراهقة ، ومختلف مظاهر جنوح الأحداث كلها ، سوف تؤول تأويلا متبايناً . وسوف يُرى كل شيء كما ترى حياة الجن في « حلم ليلة صيف » وكأننا نعيش كابوساً رهيباً عن الوحوش .

خذ مثلا « مولن العظيم » للكاتب الفرنسي (هيكتور مالو ١٨٣٠ ــ ١٩٠٧) . ان خطوات « مولن العظيم » تقوده الى الغابة فالحديقة فالقصر ثم الى ذلك الاحتفال بالعيد الغريب .

كذلك اذا أخذنا « مكتشفي القاع » لمازودو لاروش الكندية المعاصرة ، نجد تآزر الأطفال مع الخادمة والصبي الجزار وبعض المتسكعين الذين يقلبون البيت الحزين ، الذي تدير شؤونه وصيفة قاسية ، الى مكان يشع بالعذوبة والمفاجآت المرحة التي لاتنتهي .

والعكس من ذلك نراه في « إعصار جامايكا » للكاتب الانكليزي (ريتشارهوغ) الذي عاش بين (١٨٢٢ ــ ١٨٩٦) وفي « أصحاب الجلالة الذباب » لـ (ويليام غولدينغ) . فالأطفال ، في هذين الكتابين الأخيرين ، يتصارعون في كابوس وكأنهم في الحياة الطبيعية . وكأن الأمر هنا يتعلق

بمحاولة جمع ما كان يغوص في أعمـاق الذاكرة • ان عنصر الحـزن العميق أساسي جداً حتى في أشد الحالات عنفاً في هاتين الرواتين • فالراشد فيهما يفكر بطفولته دائما ، بطفولته هو ، ويبحث عن الأعاجيب والغرائب فيها بصـورة عجيبة وعنيفة • ويتنبأ القارىء بوجود هذه الأعاجيب في كل مكان ، ولا يترك الراشد مكانه للصغار أبدا مما يجعل القارىء يطبق الكتاب دون أن يتمكن من التفريق الصحيح بين الموضوعي والذاتي ومن غير أن يعرف ، في نهاية الأمر ، فيما اذا كان هذا العجيب ينبثق بناء على دعوة الأطفال وحدهم أم أنه ناتج عن الفكرة ذاتها التي يكونها الراشدون عن هؤلاء الأطفال ، وفيما اذا كان هـذا القارىء إزاء تصور شعري حقيقي لقدرات الطفولة أو أنه إزاء مرض أصاب مخيلة الراشـد •

وثمة كتب أخرى ، على العكس من ذلك ، تنسحب فيها الذاكرة تاركة مكانها للغريزة • فتنمحي فيها شخصية الراوي أو القصصي ولا يفكر الراوي والقصصي فيها بالطفولة أبداً•واذا صدف أن فكرا فيها فانهما يتعمدان نسيانها فوراً • حينئذ يكون الأطفال وحدهم هم الموجودين : يتحدثون ويلعبون بحرية تامة (وبوقاحة أحياناً) بالأخص حين لايحسون بوجود من يلاحظهم • حينذاك سيقولون بكل صراحة : من هم ، وما هي شواغلهم ، ورغائبهم ••• وهذا كله يتفق مع رغائب الطفل القارىء •

ان المؤلفين الذين يتقنون معرفة الأطفال والذين يعرفون كيف يفاجئونهم في لعبهم ويراقبونهم عن بُعد من غير تدخل أو توجيه أسئلة هم الذين يمكن أن نطلق عليهم لقب « الكتاب الحقيقيين للأطفـال » • ويـأتي على رأس هؤلاء

« الكتاب الحقيقين للأطفال » الكتاب الانكليز بدون أدنى شك وان لم يكونوا وحدهم في هذا الميدان •

٦ ـ السمات الجوهرية للأدب الانكليزي :

ماهي السمات الجوهرية والاتجاهات الأساسية التي يتصف بها أدب الأطفال في انكلترا والتي جعلت مؤلفيه يحتلون هذا المركز الممتاز ؟•

آ ـ في البداية يمكن أن نقول عن هذا الأدب أنه أدب مغلق محدد منحصر بعالم الطفولة وحده الى درجة كبيرة • أي أنه أدب يختصر كل شيء وضمن أبعاد عالم الطفولة دون أن يتعرض لما هو أبعد من ذلك •

ب ـ أما السمة الثانية لهذا الأدب فهي أنه يتطور في حاضر أزلي ضمن زمن متوقف يمكن تمثيله بنواس ساعة لايعلن أبداً عن المدة الحقيقية بل عن المدة التي تقع فيها حوادث القصة • فالحوادث ، في القصة تقع ، لكن الأبطال يظلون أطفالا وكأنهم لايشبون •• وهذه السمة واضحة عند بعض الأدباء التقليديين من أمثال (ميلوز وورث) صاحبة قصة « كوكو ـ كلوك » (عاشت بين ١٨٣٩ ـ ١٩٢١ واسمها ماري ـ لويزا ميلوزوورث) و (فيليبا بيرس) مؤلفة « توم وحديقة منتصف الليل » (وهي معاصرة) و (نيسبيت) التي ألفت كتباً عديدة نخص منها « بيت آردن » (عاشت إديث نيسبيت بين عام ١٨٥٨ و عام ١٩٢٤ وكانت اشتراكية النزعة وعضواً في الجماعة الفابية ، وعملت في الصحافة) •

جـ ـ والسمة الثالثة التي يتصف بها أدب الأطفال في انكلترا هي :

السكون في علاقته بالفضاء وبالمكان أيضا •

لقد أشاح هذا الأدب بوجهه عن التقاليد الواسعة في الرحلة ، تلك التقاليد التي ظهرت منذ عهد « الأوديسة » • وظلّ في مكانه يدور في محل مغلق جامد • ان أولاد القصص الأنكليزية يتركون غرفتهم لكي يبحثوا أو يكتشفوا • هذا أمر مؤكد • إلا أنهم يكتفون بالتنقيب في أماكن تخصهم وحدهم وتكفيهم وحدهم • لا يسألون عن مكان آخر سوى تلك الأماكن يمكن أن يستفيد منه آخرون سواهم ، وفي نهاية كل مغامرة يعودون الى غرفهتم التي كانوا يلعبون فيها أو مدرستهم التي كانوا يدرسون فيها •

لاتتبع رحلتهم خطاً مليئاً بالنزوات والعقبات بل تنتقل من نقطة الى نقطة حتى ترسم دائرة ، معتمدة في ذلك على الوجه السحري الرفيع للكلمات وعلى اللغة الجميلة ، وكأن هذا الوجه السحري الرفيع للكلمات أهم من الأحداث نفسها ومن نمو الأطفال •

• لنأخذ مثلا « حلقة الجنيات » التي تناولها (رويارد كيبلينغ ١٨٦٥ ــ ١٩٣٦) والتي يمكن أن تعتبر الدلالة الوحيدة التي تجمع بين هذه السمات كلها • ان « حلقة الجنيات » هذه تنتهي بدون أن تؤدي الى نتيجة • فالأولاد فيها يضيعون في دوامة السحر ويؤخذون به ، لكنهم لا يتحولون • والمغامرات التي يقومون بها لا تمنحهم أي خبرة • بل انها ، على العكس من ذلك لا تفعل شيئاً سوى اطالة أمد الطفولة •

وان ابطال روايات « التدريب على مهنة » و « القصة الوهمية » يحافظون كلهم ، بصورة مبهمة ، على المعرفة ذاتها والقدرات ذاتها والعمر ذاته ،

ولكي يقطع المؤلف حبل هذا الجمود ويمنح القارىء انطباعاً بوجود الحركة والحياة لا يفعل شيئاً سوى زيادة عدد الأبطال • ففريق الأطفال الخاضعين لسحر المؤلف يزداد عددهم بقدوم أخ صغير ، أو بلقاء طفل آخر • وكل هذا ، كما يقال ، عبارة عن لعبة مرايا تنعكس فيها كل شخصية لترى فيها شريكا لها •

كل الشخصيات متماثلة • ولكي تولد الصراعات لا بد من أن تتشبث الشخصيات كلها بالسر نفسه ويسيطر عليها في الفترة ذاتها ، طيش واحد •••

لقد عبر عن ذلك كله تعبيراً مثالياً وجه (بيتربان) ذلك الطفل الصغير المفتون بأزهار حديقة (كينسينغتون) وجزيرة (السير باتين) تلك الجزيرة المغاثة المستديرة حيث الطيور والأولاد الذين ينتظرون أن يولدوا ويتآخوا• أما (بيتر بان) نفسه ، فسوف تدق الساعة ، وسوف يتوقف النواس ، وسوف يعود طفلاً صغيراً كما كان • ولسوف يذهب من تلك « الجزيرة ــ المأوى » ليستقر في حديقة (كينسينغتون) حيث يلعب أولاد يكبرون وحدهم أيضاً •••

ان قصة (بيتربان) ، مثل أي قصة أخرى خيالية موجهة للأطفال • وهي تشير الى رفض الصغار ولوج عالم الراشدين وخوفهم من الحياة • وهذا الخوف هو الذي يدفعهم الى الهروب ، وهو الذي يدخلهم في عالم موازٍ ، عالم « الجانب الآخر » ، الجانب الآخر من المرآة ، الجانب الآخر من الشعور، وينبغي ألا نظن أن هذا الانتقال سهل وأنه يكفي أن يكون المرء طفلاً حتى يعبر الى المرآة وأن رفض الواقع يعني أننا نعيش في الوهم تماماً • فمن النادر أن يدخل الطفل وحده عالم الأوهام انه بحاجة الى من يدخله فيه • انه

بحاجة الى دليل ، وباختراع هذا الدليل يقاس حجم مخيلة المؤلفين • وأكثر هذه الأدلة وأشدها مباشرة وأعظمها طمأنة ••• اللعبة أو الدمية •••

٧ ــ ادب الدمى والعرائس :

اتسع بيت الدمية حتى شمل منصة المسرح الخيالي وبذلك تمكن من ولوج هذا البيت أو هذا المسرح • وتطور فيه تطوراً أفضل مما يحدث له في العالم الحقيقي مع أشياء الواقع المحيطة بــه •

ان أولى الحكايات التي جعلت أبطالها من الدمى والعرائس أتتنا من ألمانيا • وهذا أمــر طبيعي لأن ألمانيا (مع ايطاليا) بلــد الكُعب والدمــى والعرائس • وكلنا يعرف حكاية « كسارة البندق » الحكاية الوحيدة التي ألفها (إ • ت • آ • هوفمان) (١٧٧٦ ــ١٨٢٢) والتي يمكن أن تبعث الفرح في نفوس الصغار • بل ربما كانت أكمل حكاية تحرك « بلاد الألعاب » •

وثمة عمل أدبي آخر مشهور هو « ويمي الأهبل » الذي كتبه الانكليزي (آلــن آلكسندر ميلن ــ ١٨٨٢ ــ ١٩٥٦) والذي بنى فيه الحــوار بين مخلوقات أقل ازعاجاً من العرائس المقطبة المتغضنة التي عرفناها في « كســارة البندق » • انها دمى الأطفال الصغار جداً ••• حيوانات ذات وبر خبيثــة ، ماكرة ، خرقاء ، حمقاء ، مثيرة ••• يتأملها « ويمي » • يستمتع بهذا التأمل • يقارن بين نفسه وبينها • يتمكن من قياس سموه بالنسبة اليها • يتذوق لذة ممتعة تجعله لطيفاً مع ذاته •

وعلينا ألا ننسى غرابة القصص القصيرة التي كتبتها (رومير غودين)

الروائية الانكليزية المعاصرة والتي تثير حفيظة الأولاد ورعشتهم عند الانتظار والتوقع : الدمى التي تنتظر من يلعب معها • هذه القصص تطرح جانبا كل العواطف ما عدا عاطفة الحزن وعاطفة الفرح الصافيتين جدا •

يحب الطفل الصغير جدا الدمى والعرائس • انها تسحره • وهو يضفي عليها حياة فيحدثها ويتصور أنها تحدثه • وهذا ما يعرف بعلم نفس الطفل بالنزعة « الاحيائية » • أي أنه يمنحها الحياة • وكثيراً ما نرى الطفلة الصغيرة تتحدث مع دميتها وتعنفها أو تقبلها أو تعاتبها أو تبثها همومهـا • كما نرى الطفل الصغير الذي يمتطي دراجتـه فيتخيلها حصانـاً أو كائنا يفهم لغتـه فيخاطبه ويضربه ويحثـه •••

وقد جاءت السينما والشاشة الصغيرة فأخذتا تلعبان دوراً عظيماً جداً في بث هذه الحكايات الممتعة التي تمثلها الدمى واللعب والعرائس • وقد أخذت هذا الحكايات تغزو العالم كله في أيامنا هذه • والأدب الانكليزي يحتـل فيها مقاماً كبيراً •

في بعض الأحيان نشعر نحن الراشدين بالراحة والمتعة أمام الأعمال الأدبية التي تختار الحوار بين الطفل وشخصية وهمية ، ويحدث غالباً أن طفلاً ، في هذا العمر أو ذاك ، يخترع لنفسه مرافقاً وهمياً يفضله على أفضل لعبة لديه ، قد يكون هذا المرافق أخاً وهمياً أو حيواناً أليفاً كان عنده فأبعدته الظروف عنه أو لعبة كانت عزيزة على قلبه ثم اختفت لسبب من الأسباب • يعيش الطفل مع هذا المرافق الوهمي فيبثه همومه ويناجيه ويعاتبه وينقل اليه أسراره ••• وكأنه تعويض عن حياة الواقع الثقيلة البغيضة •••

على هذا النحو نعرف « مملكة آنغريا » المدهشة ... ذلك البلد الوهمي الذي كانت تعيش فيه بنات (بروتني) الأربع : شارلوت وإيميلي وبرانويل وآن ... ذلك البلد الذي عرفناه بعد نشر مذكراتهن الصغيرة . لقد كانت كل واحدة منهن تمثل فيه دوراً ، ولـم تتمكن اثنتان منهن الاستغناء عـن هذه المذكرات أبـداً .

٨ ـ الأشباح :

ان جعل ما لا يوجد أكثر حقيقة من الحقيقي نفسه مجازفة تغري كتاب الأطفال في أغلب الأحيان . وقد استطاعت أن تقوم بذلك (لوسي بوستن ـ ١٨٩٢ ـ ...) على أفضل وجه في سلسلتها المعروفة باسم « المعرفة الخضراء » بفضل رهافة مشاعرها وأحاسيسها وفطنتها النادرة ، كذلك نلاحظ أن كتب (فيليبا بيرس) المعاصرة ذات نبرة اكثر مباشرة وأعظم تقبلا لدى الأطفال . ففي روايتها الاولى « توم وحديقة منتصف الليل » نشعر ببعض السهولـة تنساب عبر سطور القصة .

ان المساكن الانكليزية القديمة مأهولة بالأشباح كما هـو معروف في الكتب . وقد رأينا (فيليبيا بيرس) تعود الى الماضي لتستكشفه وتستعين بمواهبها لتستثمر الكلمات الغامضة على الورق ، وتلجأ الى رسم الأشباح فتضع عليها الأقنعة ثم تعود فتزيل هذه الأ قنعة في روايتها الأولى . ان سحر هذه الرواية يسهل علينا القبول بها ، أما روايتها الثانية « كلب صغير جداً » فتزيل الخوف من القلوب ، انها مبنية على فكرة الحوار مع مرافق خفي لا يرى ، لذا ربما اعتبرت هذه المحاولة ناجحة بل ربما اعتبرت هذه الروايـة

أحسن رواية ألفتها للأطفال ، فالكلب ، في هذه القصة ، خيالي • لكنه مايلبث أن يصبح أكثر حضوراً واكثر حياة على الرغم من أنه لا يظهر للعيان أبداً • والنتيجة التي تحطم كل ارتباط مع المعجزة وتعيد القارىء الى عالمه المألوف ، لاتبدو لهذا القارىء مصطنعة أو مغالية ولا تخلق عنده الشعور بعدم الرضى كما يحدث غالبا ، ان الصعوبة كامنة في خلق التلاحم بين الخيالي والواقعي وفي الطريقة التي تتم فيها اعادة القارىء الى الارض ، وهذا ما نجح فيه الكتاب الانكليـــز •

يزعم بعض المؤلفين أنهم قادرون علـــى التغلب على هذه العقبة حـــين يجعلون من حكايتهم نوعا من الخرافة ويبثون بين سطورها الحكمة ، ثم لا ينسون ، في الوقت نفســـه ، أن يحذروا القارىء من مغبة الانقيـــاد لسلطان الخيال ، والأمثلة على هذا الأسلوب عديدة ، نذكر منها مثلا رواية (آتتونيا فورست) الروائية الانكليزية المعاصرة ، تلك الرواية الغريبة التي تعرف باسم « غرفة بيتر » ، انها رواية وهمية الى درجة مؤسفة • وان قراءتها صعبة جداً بسبب غموضها، خصوصاً عند الأطفال الذين لاينتمون الى الطبقة البورجوازية الانكليزية الرفيعة التي كان أطفالها يحاولون أن يعيشوا مرة أخرى تجربة أولاد (آل برونتي) الخيالية ••• وهناك أمثلة أخرى عديدة انكليزية وغير انكليزية •

يرى بعض المؤلفين أن غموض القصص قد ينمي قدرات الخيال ، بيد أن الأطفال كثيراً ما يرفضون أن يخدعوا بغموض هـــذه القصص وكثيراً ما يكشفون النقاب عنهـــا ويفضحونها • مع ذلك نستطيع أن نزعم بأن هـــذه القصص الغامضة تلائم سن ما قبل المراهقة • فالفتى ، في هذه الفترة ، لا يؤمن بالجنيات أبداً وان كان يريد ان يؤمن بها ، أما الاطفال الأصغر سناً فيمكـــن

أن يسمح لهم بقراءة المغامرة ففي سن ماقبل المراهقة ترفض مخيلة الفتى كل لعبة محسوسة مرتبطة بالواقع ارتباطا مفتعلا • ولايكتفي الفتى بحوار ينطلق فيه السؤال ولا يلقى جواباً ، انه يرصد انعكاسات الآخرين واستجاباتهم رصداً قوياً ويدرسها ويحللها تحليلا منطقيا ليؤلف من ذلك كله فكرة رائعة أوشخصية بديعة يعتبرها وسيطاً ممتازاً بين الحقيقي والوهمي ، لذا كان على كاتب أدب الناشئة أن يطلع على علم نفس الطفل وعلم نفس المراهق ، هذه لقطة هامة لمعرفة نمو الطفل والمراهق •

من الكتاب الانكليز الذين عرفوا نفسية الطفل والمراهق كاتبة معروفة ذائعة الصيت في انكلترا مجهولة خارج بلادها • هذه الكاتبة هي (اديث ينسبيت) • عاشت بين عام ١٨٥٨ وعام ١٩٢٤ • اسمها الحقيقي غير معروف لدينا • و(اديث ينسبيت) هو اسمها المستعار ، وقد غلب عليها لأنها كانت توقع به مقالاتها الصحفية ورواياتها •

كل مانعرفه عنها أنها كانت تعمل في الصحافة • وكانت ذات نزعةاشتراكية وعضواً في جماعة الفابيين ، كتبت بعض القصص الساخرة للأطفال جمعت في مجلد واحد تحت عنوان « الباحثون عن الكنز » ونشرت في عام ١٨٩٩ فكانت سبباً في ذيوع صيتها •

في مؤلفاتها الموجهة للأطفال توازن نموذجي بين الواقعية والسحر ، أهم قصصها :

ـ الأولاد الخمسة	١٩٠٢
ـ النخلة والبساط	١٩٠٤

ـ قصة التعويذة	١٩٠٦
ـ القلعة الرائعة	١٩٠٧
ـ بيت آردن	١٩٠٨
ـ حظ هاردينغ	١٩٠٩

لقد كانت (اديث ينسبيت) تعرف ، بعد (لويس كارول) ، كيف تمنح الحياة ، في بعض رواياتها ، لكائنات غريبة وتفرض علينا الايمان بوجود هذه الكائنات : فبعض هذه الكائنات ينتفخ عندما يحقق الاماني ، وبعضها تطيعه الاشياء البيض ، وهناك العنقاء المتبجحة أيضا ... وغير ذلك ، وان أطفال قصصها يملكون الموهبة فعلا . فهم ينسابون من غرف لعبهم الى العالم المضطرب ، لا عالم النزوات الخفيفة ، انسيابا طبيعيا وكأنهم يزدردون الحساء أو يقومون بنزهة في الغابة .

من روايات (إ . ينسبيت) الخيالية الرائعة : سلسلة « الأولاد الخمسة » و « بيت آردن » و « حظ هاردينغ » و « القلعة الرائعة » . وكلها قليلة الانتشار خارج بريطانيا والولايات المتحدة .

وهناك مؤلفة انكليزية أخرى اسمها (باميلا ترافيرز) وهي معاصرة . اشتهرت بكتابها « ماري زهرة المنثور » . يفضلها القراء الصغار لروعة وصفها لمغامرات هذه « الحاضنة ـ الجنية » ماري ، وقد أوحت بفيلم لـ «والت ديزني » . ان ما ابتدعته (باميلا ترافيرز) من استعداد النجوم للقتال ومن غاز مثير للضحك وغيرذلك ليدل على عبقرية ساذجة وأريية في آن واحد ، كما أن شخصية الجنية الساحرة الحديثة التي اخترعتها مثيرة خصوصاً عندما نرى

قدرتها على اخفاء قواها الحقيقية واتخاذها مظهر الفظاظة والتزمّت الديني ، مع ذلك ، نجد في « ماري زهرة المنثور » كياسة المعجزة وسحرها ، لكننا نشعر فيها شعوراً ضمنياً برغبة المؤلفة في تحاشي بعض الأمنيات السخيفة أو السمجة التي قد يفضلها الأطفال على الابتكارات ، والسبب في ذلك أنها تحاول ابراز شعر الطفولة الذي يرضي عواطف الراشدين أكثر مما يرضي الأطفال أنفسهم ، أما عند (إ • ينسبيت) فالأمر على عكس ذلك • فالأبطال الصغار عندها هم الذين يقودون أحداث القصة ، وهم الذين يوجهون رغائبهم الحسية البسيطة بفاعلية نشيطة • الحصول على أجنحة ليطيروا بها مثلاً أو اكتشاف وسيلة ناجحة تجعلهم أجمل من النهار أو رغبة التخلص من أخ صغير مزعج •••

ان مخيلة هذه المؤلفة نشيطة جداً تساعدها على العثور على الحل السحري الذي ينبثق بعد المرور ببعض المتاعب المسلية والمفرحة ••• والحل نفسه باعث على السعادة •••

إن (إ • ينسبيت) عالمة نفس ممتازة وفنانة متصفة بالعفوية والصفاء • ومنطق حكايتها لا يسمح لها بأي تصنع أو تكلف لأنه منطق شريف نبيل يكاد يذهلنا في بعض الأحيان ، لقد بلغت حداً تستطيع معه أن تجعل اللعبة الحمقاء البسيطة تتذبذب بين الكابوس المخيف والإثارة الهزلية المفاجئة مع بقاء هذه اللعبة صبيانية تماماً • ولا ننس أنها قد تأخذ بعداً حزيناً كما تشهد على ذلك روايتها الجميلة « حظ هاردينغ » وروايتها الأخرى « القلعة الرائعة » •

ان البلدان الاجنبية ، مع الأسف الشديد ، تكتفي بالقاء نظرة عابرة

على الطبعة الشعبية لكتاب « ماري زهرة المنثور » وتتجاهل هذه المؤلفة الكبيرة • هذه هي أيضا حال السيدة (دوسيغور) المجهولة خارج فرنسا ••• كأن هاتين المؤلفتين الأدبيتين غذاء قومي خاص « مفلفل » حاد محرق لايمكن تصديره •

وأخيراً لابد من أن نذكر أن للمؤلفة (إديث ينسبيت) نقطة ضعف واضحة فلغتها ونبرتها قد شاختا كثيراً كما شاخت الأخلاق التي تصفها أي أخلاق البورجوازية الصغيرة الإدواردية •

يمكن أن نضيف الى الحكايات التي عرضناها حكايات أخرى والى المؤلفين الذين ذكرناهم مؤلفين آخرين • خذوا مثلا حكايات « مملكة نارنيا » التي كتبها (كليف ستابل لويس ١٨٩٨ ــ ١٩٦٣) وهي مشهورة جداً في انكلترا! وتستحق مزيداً من الاهتمام أيضا وان كانت المخيلة فيها تلعب دوراً صغيراً • فلقد اضطر المؤلف فيها الى اللجوء الى مطالعاته في طفولته والى اقحام أقزام (الفولكلور) الجرماني وآلهة (الميثولوجيا) القديمة رغبة منه في انعاش « نارنيا » •

كان (ك • س • لويس) هذا أستاذاً للأدب الانكليزي في جامعة (أوكسفورد) ثم عمل في جامعة (كامبرج) • وكان مختصا بالقرون الوسطى وعصر النهضة • بدأ ينشر للأطفال منذ عام ١٩٥٠ حكايات « مملكة نارنيا » وهي عبارة عن سبع روايات • حصل على الرواية الأخيرة منها على جائزة (كارنيجي) • ترجمت بعض حكاياته الى الفرنسية • ولم تترجم الى العربية• فلا غرابة اذن ان نقول إنه كان يلجأ الى مطالعاته في الطفولة ودراساته التاريخية

وانه أقحم الأقزام الجرمانية وآلهة (الميثولوجيا) لكنــه تعمد الاستعانــة بأسلوب خفيف حيناً وقاسٍ حيناً آخر محاولاً أن يملأ حكاياته بالمفاجآت والأمور غير المتوقعة • كما أنه حاول استخدام قصص الجان لكن محاولته كانت غير موفقــة •

وقد تأثر بهؤلاء الكتاب الانكليز كتاب من جنسيات مختلفة من أمثــال (فرانك بوم) الامريكي (١٨٥٦ ــ ١٩١٩) صاحب سلسلة « مشعوذ الأوز » و (كارل ساندبورغ) الامريكي أيضاً (١٨٧٨ ــ ١٩٦٧) ومؤلف « حكايات روتاباغا » و (مارسيل آيميه) الفرنسي (١٩٠٢ ــ ١٩٦٧) مؤلف « حكايات القط المعلق » ••••

وقد كان لهؤلاء المؤلفين فضــل على أدب الأطفــال في ناحيــة لم يكن المؤلفون الانكليز يعيرونها اهتماماً من قبل وذلك حين أدخلوا الى هــذا الأدب بُعد « السخرية » • وبذلك أضيف الى البعد الوهمي بعد جديد • ثم جاءت مرحلة جديدة سقطت فيها الحواجز واستبعد عالم الواقع وأصبح البطل نفسه كائناً وهمياً وظهرت فئــة من الشخصيات أطلق عليهــا لقب « بَيْنَ بَيْنَ » تمثل : رجل علم غريب الأطــوار ، أو عانساً معقــدة ••• أي أنهــا تمثــل الشذوذ ••• ويستطيع الأطفال أن يجدوا فيها محدثاً بارعاً يسهل التفاهم معه واللعب معه • وكل واحد من هذه الشخصيات يملك فردية خاصة به ويمكن أن يقوم بوظيفة اجتماعية على عكس الأبوين أو السيد المعلم أو السيدة المعلمة أو السيد المختار • قلنا ان مرحلة جديدة ظهرت سقطت فيها الحواجز واستبعد عالم الواقع • في هذه المرحلة أصبح البطل نفسه كائناً وهمياً أي أنه صار هــو

نفسه « بَيْنَ بَيْنَ » ... في هذه الأحوال يرتبط البطل بمظهر من مظاهر (الفولكلور) القومي • وهذا المظهر هو « الدمية » • الدمية التي تعامل معاملة الانسان والتي ابتدعها المؤلفون لنشر روح المرح بين الصغار تحدثهم وتضحكهم وتجرهم لمرافقتها في مغامراتها المرحة • وقد تعاقب لأنها ارتكبت حماقة • والغرابة التي نراها في هذه الحكايات هي غرابة ظاهرية طارئة وليست جوهرية أصيلة أي أن أحداثها مفتعلة تهدف الى اضحاك الأطفال من الأفعال الحمقاء والى دفعهم الى الابتعاد عن ارتكابها • وهذا النوع من الحكايات يخلب نفوس الأطفال ويشدهم شداً ويسليهم ويفيدهم في آن واحد •

٩ ــ الأقزام :

وبعد ذلك ظهرت نزعة جديدة ألمانية في أدب الأطفال مالبثت أن انتقلت الى انكلترا فلاقت قبولاً عند القراء الصغار الانكليز • وهذه النزعة تتمثل في الكتابة عن كائنات انسانية أو غير انسانية تملك قاسما مشتركاً هو : القامة القصيرة • هذه الكائنات تعيش حياة هامشية في عالم منعزل جديد يحتفظ بميزة الطفولة نفسها •

ومن أبرز الأعمال الأدبية الناجحة في ميدان « الأقزام » :

ــ « الهوبيت » الرواية التي ألفها (ج•ر•ر• تولكين) الانكليزي المعاصر •

ــ « مملكة القصار » كتبها (وولسون) وهو كاتب مجهول • والرواية ترجمت عن الفرنسية •

ـ « المقترضون » ألفتها (ماري نورتون) وهي انكليزية معاصرة •
ـ « آل مومين » كتبتها (توف جانسون) ـ وهي فنلندية معـاصرة •

وهذه الرواية الأخيرة تصف كائنات خارقة فعلا خلقتها رسوم بديعـة لاتضاهى وكتابة سلسة سهلة • وقد ساعد المؤلفة (توف جانسون) في نجاحها أنها كانت صحفية ورسامة في آن واحد •

وكلما ابتعدت هذه المخلوقات الغريبة المبتدعة عن أرض الواقع أصبحت لاتنتمي الى شيء معروف • وهذا الموقف يدفع الأطفال الى التساؤل عن طبيعة هذه المخلوقات التي تتصرف كما يتصرف الأطفال وهي بعيدة عنهم لكن سلوكها يتصف بالمرح والحبور : هل هي أطفال مثلنا ؟ أم أنهاحشرات؟ أم أبناء عفاريت؟ أم فئران ؟ مع ذلك يلاحظ الأطفال أن المغامرة التي تقوم بها هـذه الكائنات القصيرة مألوفة لديهم لأنها تشبه مايجري في حياتهم اليومية •

حتى السحر أو الشعوذة لايلجأ اليهما الا للحصول على شيء واقعي !•

ان القضية الكبرى في رواية « آل مومين » لم تكن أبداً ولوج صديقة مسكونة بالجن بل كانت البحث عن محفظة اليد التي فقدتها الأم (مومين) • وان وجه البطل الصغير يزيد من حدة الأحداث الدقيقة ويدفع نحو مزيد من التفصيلات •

وقد رأى بعض الناقدين والمفكرين أن هذا هو عالم الطفولة الحقيقي••• اذ ربما قارن الأطفال أنفسهم بالراشدين ورأوا أنهم أقزام أمام هؤلاء الراشدين وأن الراشدين عمالقة أمامهم • لذا كأن المخيلة هناتلاحظ ماهو ماثل أمامها

في العالم الحسي ، عالم الصغار قبل كل شيء ولا تحلق نحو المستحيل •

ان ما حللناه آنفاً يفسر لنا سبب ابتعاد أدب الأطفال عن ميدان « الخيال العلمي » وعدم نجاحه فيه ••• اللهم الا اذا استثنينا بعض المحاولات المتفرقة في الاتحاد السوفياتي وفي الولايات المتحدة الأمريكية •

وأخيراً ان قصص الأقزام والدمى تلعب دوراً هاماً في انتزاع الانسان من وطنه ومن جذوره بسبب غموض بعض تفصيلاتها وصعوبة تشبيهها بالكائنات الحقيقية خصوصاً فيما يتعلق بالسلوك والمهارة •

١٠ ـ الخاتمـة :

ولما بدأت ظروف حياة الأطفال بالتبدل أخذت الحواجز التي كنت تفصل عالم الراشدين عن عالم الأطفال تنهار وتسقط • وها نحن نرى اليوم هـذا التبدل أمام أعيننا •

من المؤكـد أن أدب الأطفـال في انكلترا ما زال يعرف كيف يحرك تلك الشعوذات الوهمية • لكن الأطفال الانكليز في أيامنا هذه غير الأطفال الانكليز في العهد الفيكتوري • انهم لم يعودوا يعيشون في نظام الحضانة التقليدي • ولم تعد هناك حاضنة أو مربية ترعاهم • كما أنهم لم يعودوا خاضعين لنظـام العبودية أو التبعية لمن هم أكبر منهم في المدرسة • لكنهم يقرؤون عن كل ذلك في كتب الراشدين • لذا فان الحدود بين عالم الطفولة وعالم الرشد أخـذت تزداد ضيقاً واضطراباً • ولم يعد يدهشنا أن نرى الأطفال ، في وقتنا الحاضر ، وقـد شرعوا يعبرون عن بعض الصعوبـات التي تعترض دخولهم في العـالم

الوهمي • وهذا ما دفع أدب الأطفال الى أن يبحث عن موضوع جديد ويفتش عن مادة جديدة يستمد وجوده منهما شيئاً فشيئاً • وقد وجد هـذا الموضوع وتلك المادة في الحياة العائلية والجماعية • اذ أنه ، لكي يكون مجدياً لابد من أن يرتبط بخبرة حية •••

بكلمة أخرى ، اذا كان أطفال العصر الفيكتوري ، في انكلترا ، يعيشون تجربة العزلة والخضوع فليست هذه حال أطفال اليـوم أبداً • كذلك ينبغي أن نلاحظ أن المغامرة الوهمية تترك وراءها ، بصورة حتمية ، انطباعاً بعـدم الرضى عند الطفل لأن الطفل يدرك تصنع الراشدين وتكلفهم • ونستثني هنا ، بطبيعة الحال ، (لويس كارول) الذي يظل حالاً فريدة • كما نستثني بعض كتب (اديث ينسبيت) التي تفاجئنا بل تدهشنا بوصف حيـاة الحضانة التي تدور وراء « ثقب القفل » • هل تعتمد معظم تلك الحكايات على تأويل مفتعل أو على تفسير غير صحيح للحاجات الحقيقية الى الوهمي عند الأطفال ؟ ونحن نعرف أن من جملة الحاجات الحقيقية عند الأطفال حاجتهم الى الوهمي الخيالي • الواقع أن الخوف من الحقيقي وصعوبة مواجهة العالم كمـا يبـدو للطفـل يفترضان بالضرورة ارادة الاشاحة عنه • فاذا كان الطفل يتقهقر أمام الاتصـال المباشر بالواقع الحسي ، واذا كان يضع بين نفسه وبين هـذا الـواقع الحسي وسيطاً متواضعاً ومطمئناً فليس ذلك لأنه يريد الفرار منـه • بل العكس هـو الصحيح • فالطفل ، عندما يلعب ، يميل الى الاقتـداء بالواقع • وقـد لعب الأطفال مع الواقع دائماً • بل ان ألعابهم ، في بعض الأحيان ، أشد واقعية من الواقع نفسه • انها ألعاب بريئة ساذجة مألوفة كما هي الحـال في « المساومة

التجارية » أو « عملية البيع والشراء » أو التجارب الانسانية التي لايستطيع الصغار التعبير عنها تماماً مثل لعبة « بابا و ماما » و « لعبة الحرب » • فلم تكن هذه الألعاب لتعارض الواقع أبدا • والأطفال يميلون الى ممارستها والسيطرة عليها كما يميلون دائماً الى تكييف مفاهيم الراشدين مع تصوراتهم العقلية •••

لذا فنحن نختم هـذا البحث الواسع بتوجيه بعض النقـد للكتب التي درسناها على الرغم من كل ما وجدناه فيها من غنى وثروة أدبيـة • ان السمة المشتركة بين هذه الكتب جميعاً ، وبصورة خاصة كتب (ينسبيت) التي وجـه اليها كثير من التقريظ ، تكمن في الموضوعية المتعمدة المقصودة التي تحاول أن تنسبها الى نفسها • ان هذه الكتب ، بكل تأكيد ، تصف الشخصيات والأحداث الغريبة • لكنها لاتفرط في هـذا الوصف • كما أنها لاتحـاول أن تصل الى « شعر الطفولة » أي أنها تكتفي بأن تتيح الفرصة لمخيلة الأطفال كي تقـوم بالتوفيق بين الحقيقي والوهمي متجنبة منح الأفضلية لأحدهما على الآخر • وكأن هذه الكتب لاتحاول أن تدخل في طريق شائكة لأن الخطر يربض دائماً في اطلاق أحكام القيم •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صدر حديثاً

عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق

الهروب مـن القومية

دراسة صفوان قدسي

من الأدب الفارسي

مُختارات مِن شعر جَلال الدّين الرّومي

ترجمة وتقديم يوسف اليوسف

مقدمة

صدق من قال : الشعر هو ما يضيع بالترجمة • ومما يزيد الطين بلة أن هذه القصائد لم أترجمها عن الفارسية ، لغة جلال الدين الرومي (المتوفى عام ١٢٧٣ م) ، بل ترجمتها عن الانجليزية • وهذا يعني أنها مرت بقناة التحويل مرتين • فقد وصلت الى يدي ــ بمحض الصدفة ــ مجموعة صغيرة من القصائد المختارة لجلال الدين مترجمة الى اللغة الانجليزية • وربما كان المسوّغ الوحيد للاقدام على ترجمة بعض قصائد تلك المجموعة هو أن من اختارها وقدم لها وترجمها الى لغة الانجليز مستشرق كبير يقر له الجميع بالفضل وعلو الكعب • وليس هذا العلامة سوى رينولد نكلسون الغني عن التعريف •

* * *

ولد جلال الدين الرومي ، الذي يسمى المولوي أحياناً ، في مدينة بلخ عام ١٢٠٧ م ولكنه قضى معظم حياته في قونيا • ويصرح جده لأبيه أنه ينتسب الى أبي بكر الصديق •

غادر قونيا في صدر شبابه ليعيش ردحاً من الزمن في دمشق وليتتلمذ على فيلسوف الصوفية محي الدين بن عربي • ثم عاد الى قونيا من جديد بعد وفاة ابن عربي ليتعرف هناك على قطب صوفي كبير هو شمس الدين التبريزي الذي ترك أعمق الآثـار في شخصية جلال الدين ، فكان أن جاء واحد من أعظـم مجموعاته الشعرية حاملا لهذا العنوان : « ديوان شمس تبريز » • أما ديوانه الكبير الآخر ، وعنوانه « المثنوي » ، فقد اعتاد أن يسميه « كتاب حسام »، وحسام هذا واحد من المـع اتباعـه • ولجلال الدين كذلك مجموعـة من الرباعيات • بيد أن أفضل أعماله هو « ديوان شمس تبريز » ، الذي تسوده روح غنائية وانفعالية خصيبة ، فهو أدخل في مملكة الروح من في مملكـة الذهـن •

لقد اعتاد تلاميذه أن ينادوه بلفظه « مولاي » التي تصبح في التركية « مفلفي » ، وقد تحولت هذه اللفظة الأخـيرة في العربيـة بحيث أصبحت « مولوي » ، ومنها المولوية ، مدرسة جلال الدين التي تعتمد في التصوف على الموسيقى والرقص •

لعل المصدر الأول في التعرف على سيرة جلال الدين هو تلك القصـيدة السردية المطولة التي كتبها ابنه سلطان ولد تحت هذا العنوان : « ابتـداء نامة » ، أو كتاب الابتداء ، حيث يسرد الابن وقائع حياة أبيه ، ولا سيما صلته بشمس تبريز •

ويزعم المستشرقون أن جلال الدين هو أكبر شعراء الصوفية • وربمـا صدق هذا الرأي على حركة الشعر الصوفي في ايران ، ولكنه لا يصدق على

الشعر الصوفي جملة • ففي رأيي الشخصـي أن شعر جلال الدين المكظوظ بالمصطلحات الصوفية ذات الطابع الفلسفي ، وبالتشبيهات المادية الصوفية ، مما يفقره نسبياً من سمة الوجد الروحاني ، أقول ان هذا الشعر لا يرقى الى مصاف شعر ابن الفارض الذي ينزع نزعة جمالية مقومها الأساسي طراء الروح وغضارة القلب البشري ، ان الشعر الفارسي جملة ،بما فيه تيارة الصـوفي ، يظل يفتقر بعض الشيء الى تلك الشعلة القلبية السرية التي تصنع الجودة أو المزية لشعر العرب التراثي • فبينما نلاحظ أن جلال الدين أقرب الى الفيلسوف منه الى الشاعر ، فاننا نلاحظ أن ابن الفارض ليس الا امتدادا لحركة الغزل العذري المؤسسة على الشعور النبيل • ففي وسعي أن أنعت «التائية الكبرى» لابن الفارض بأنها ملحمة الجمال ، ملحمة القلب البشري في تواحده مـع المطلق ، الذي يفقده هذا التواحد الكثير من تعاليه • فبينما يمكن القول بأن قراءة النثر الصوفي ، ولا سيما « الفتوحات المكية » ، تغني عن قراءة جلال الدين الرومي ، ولو اغناء نسبياً ، فإن ما من شيء قط يمكن أن يغني عـن قراءة « التائية الكبرى » ، إذ لا شيء يغني قراءة شاعر أصيـل ، حتى ولا شاعر أصيل آخـر •

وأيا ما كان الشأن فإن جلال الدين الرومي شاعر كبير ، على الرغم مـن منظومة المصطلحات والمفاهيم الصوفية التي تملأ انتاجه • وربما أمكن القول بأنه أفضل من صاغ المفاهيم الصوفية شعراً منظوماً ، ولو أن الشعر العظيم لا يتعامل مع المفاهيم تعاملاً مباشراً •

بقي أن أنوه بملاحظة جديرة بالتنويه ومفادها أن جلال الدين الرومي

قد ترك آثـاراً واضحة على الشاعر الانجليزي ، وليم وردزورث ، زعيـم المدرسة الرومانسية ، ولا سيما على قصيدته الكبرى ، « علائم الابديـة » التي تحمل الكثير من ألفاظ جلال الديـن وأفكاره وشذارته التصويرية • وهذا ما قد يكون موضوعاً للمقارنة بين الشاعرين في المستقبل •

النضج هـو الكل

لما كنت عاجزاً عن إطاقة النور المكشوف ، فلتشرب كلمة الحكمة ، لأن نورها محجب •

اكرعها الى أن تغدو قادراً على استقبال النور ، وعلى أن تبصر دون حجب ماهو مخبوء الآن •

وأن تعبر السماء كنجمة ، لا ، اني أريد لك رحلة غير مشروطة ، رحلة دون سماء •

إذ هكذا أتيت من الوجود الى اللا وجود •
كيف أتيت ؟ لقد جئت بطريقة لا معقولة •
دروب مجيئك لاتتذكرها ، ولكنني سوف أسدي لك نصحاً •
دع عقلك يذهب ، ثم كن عاقلا ! أغلق اذنيك ثم أصخ السمع !•
لا ، لن أقص عليك ، فأنت مازلت فجـاً ، إذ ما فتئت في ربيعك ولم تـر الصيف بعـد •
هذا العالم أشبه بشجرة ، ونحن عليها ثمرة نصف ناضجة •
الثمار الفجة تلتصق بالغصن لأنها لم تتهيأ للعصر بعد •

ولكنها حين تنضج وتغدو حلوة ولذيذة •

بعد ذلك تقطع صلاتها بالغصن •

وعلى النحو نفسه ، تفقد مملكة العـالم طعمهـا في الثغر المحلى بهناءة الغبطـة •

ثمة ما لا يحكى ، بيد أن روح القـدس سيحكي لـك دون أن يتخذني وسـيلة •

كلا ، بل أنت ستحكيه لأذنك الخاصر لا أنا ولا سـواي ، أنت يا مـن تتواحد وإياي تماماً مثلمـا أنك حين تغفو تذهب مـن حضرة نفسـك الى حضرة نفسك •

وتسمع من نفسك ما تظنه يسرد على مسامعك سراً في الحلم •

فيـا صديقي الطيب ، لسـت « الأنت » المفردة : إنـك لأنت السـماء واليم العميق •

و « الأنت » اللا متناهية القديرة التي تخصك هي البحر الذي تغوص فيه حوريات « الأتتم » •

لاتفه بكلمـة كي يمكنك أن تسمع مـن المتكلمين ما لا يمكن أن يُنطق أو يوصف •

لاتفه بكلمة كي يمكن للروح أن يتكلم اليك : ففي سفينة نوح عليك أن تكف عن السباحة !•

الحب الكوني

وحين يُقذف ومض الحب في هــذا الفؤاد ، فاعلم أن الحب عــارم في ذاك الفــؤاد •

وعندما يضيء حب الله في قلبك ، فالله ، دون أدنى ريب ، يكن لك الحب• فما من تصفيق يصدر عن يد واحدة دون الأخرى •

والحكمة القدسانية في المصير والعقيدةصنعتنا بحيثيعشق أحدنا الآخر• وبفعل ذلك الترتيب المسبق كان كل جزء من أجزاء العالم مقروناً بزميله •

ففي نظر العاقل ، السماء هي الرجل والأرض هي المرأة : فالأرض تربي ماترميه السماء •

حين تفتقر الأرض الى الحرارة فان الســماء ترسلها ، وحين تكون قــد أضاعت رونقها ورطوبتها ، فالسماء تسترجعها •

السماء تسعى كزوج يكدح من أجل زوجته •

والأرض منهمكة بما تنهمك به الزوجة : انها تلتزم بانجــاب وإرضــاع ماتحمل في رحمهــا •

فالأرض والسماء مزودان بالعقلانية ، إذ هما يفعلان فعــل الكائنــات العــاقلة •

فما لم يذق هذا التوأم اللذة ، أحدهما من الآخر ، فلماذا يزحفان معــاً كعشــيقين ؟

وبغير الأرض ، كيف يمكن للزهرة والشجرة أن تتفتحا ؟
وماذا يمكن لماء السماء وحرارتها أن ينتجا ؟

فكما وضع الله الرغبة في الرجل والمرأة بحيث يمكن للعالم أن يصان باتحادهما ، كذلك غرس في كل جزء من أجزاء الوجود الرغبة في جزء آخر •

الليل والنهار عدوان ، لدى النظرة الخارجية : ومع ذلك فان كليهما يخدمان غرضاً واحداً ، فكل منهما عاشق للآخر ابتغاء تكميل شغلهما المشترك •

بغير الليل لن تستقبل طبيعة الانسان أي دخل ، وبذلك لايبقى شيء ينفقه النهار •

والنفس تقول لأجزائها الأرضية الدنيئة : «منفاي أمر من منفاك ، فأنا سماوية» •

والجسد يرغب في الأعشاب الخضراء والمياه الجارية ، لأن أصله من هذه الأعشاب وتلك المياه •

والنفس تعشق الحياة والواحد الحي ، لأن أصلها النفس اللامتناهية •

رغبة النفس باتجاه الصعود والرفعة،ورغبةالجسد باتجاه الثروة ووسائل الانغماس الذاتي •

وتلك الرفعة ذاتها تتعشق النفس وترغب فيها ، تأمل قوله تعالى : « يحبهم ويحبونه » •

فالمسألة هي أنه حينما يبحث أحدهم ، فان نفس المبحوث عنه ترغب فيه ،

ولكن رغبة العاشق تجعله منهكاً ، أما رغبة المعشوق فتجعله جميلاً ووسيماً •

فالحب ، الذي يؤلف وجنة المحبوب ، يستهلك روح العاشق •

الكهرمان يحب القشة دون أن يريد شيئاً في الظاهر ، بينما تحاول القشة أن تتقدم على الدرب الطويل •

النفس الصاعدة

مت معدناً وغدوت نبتة ،
ثم مت نبتة ونهضت حيواناً ،
ومت حيواناً فكنت انساناً •
ففيم أخاف ؟ متى قلل الموت من شأني ؟
فلسوف أموت إنساناً مرة ثانية ،
وذلك كي أحلق مع الملائكة الأبرار ،
وفوق ذلك سوف أعبر الملائكية :
الكل فان خلا الله •
وحين أكون قد ضحيت بنفسي الملائكية •
سوف أغدو ما لم يره عقل •
آه ، دعني أتلاشى ! لأن اللاوجود •
يعلن بأنغام موسيقية : « اليه سوف نعود » •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عالم الزمن

في كل آنة تموت وتبعث• « ما هذا العالم الا برهة » ، كما قال الرسول•
وما فكرنا الا سهماً أطلقه الله • كيف يسعه أن يظل في الهواء ؟
فلا بدّ له من أن يقفل عائداً الى الخالق •
ففي كل آنة يتجدد العالم ، ونحن لانعي تغيره الأبدي •
والحياة تتدفق دوماً بطزاجة ، مع انها في الجسد تشبه الاستمرار •
فبسبب من سرعتها تبدو مستمرة كالشرارة التي تقدحها بيدك •
الزمن والديمومة ظاهرتان تنجبهما سرعة الفاعلية الآلهية ،
كجمرة ، حين تدوّمها بحذق ، تخلق مظهر خط طويل من النار •

المطـلق

اللا وجود وليس الا نحن ووجودنا : انك لأنت المطلق •
متبدياً في زي الآنية •
مايحركنا هو كرمك (يا أيها الله) : فكينونتنا كلها من صنعك •

لقد أبديت جمال الكينونــة للاكينونة ، بعدمــا جعلت اللاكينونة تعلق في حبــك •

لاتحرمنا بهجة كرمك : لاتحرمنا فاكهتك ونبيذك وكأسك !•
ولكن ، لئن حرمتنا هذا كله ، من يجرؤ على الاعتراض ؟•
أو تقتتل الصورة مع الرسام ؟•
لاتنظر الينا ، بل انظر الى لطف حبك وكرمك !•

كنا عدماً : فلم يكن لنا الحق في أن نطلب شيئاً • ومع ذلك فان لطفك قد سمع صلاتنا الصامتة فنادانا الى الوجود •

ففي المحكمة الالهية ، الكل عاجز كسجادة أمام الابرة •

طوراً يصنع الله صورة للشيطان ، وطوراً الآدم ، مرة يرسم الفرح ومرة يرسم الأسى •

ما من أحد يملك أن يرفع يده محتجاً ، وما من أحد يجرؤ على أن يفوه بكلمة تملك أن تنفع أو تضر •

روح الكون

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أية عوالم مستورة تتدحرج داخل خضم العقل •
الواســع المحيق بكل شيء !

أشكالنا تطفو هناك أشبه بالأكواب ،
فقط لتملأ وتغوص فلا تترك خلفها •
أي رذاذ من فقاعات البحر يتجه نحو الأعلى •

الروح الذي لاتملك أن تراه ، انه يقترب كثيراً •
!كرع من هذه الحفرة ! لا تكــن جرة •
مشحونة بالماء ، وشفتها حجرية اليباس ،
أو خيالاً محمولاً الى البعيد دون وعي منه ،
فلا يرى الجواد الذي تحت فخذيه •

الدرب السلبية

في حضور التركي الثمل ، أخذ المطرب يتغنى بالميثاق الذي أقيم في الابدية بين الله والنفس •

« لست أدري مـــا إذا كنت قمراً أو صنماً ، ولست أدري ماتريـــد مني ، ولست أدري أية خدمة أسديها اليك ، أو ما اذا كان عليّ أن أصمت أو أن أعبر عنـــك بالألفـــاظ •

ومن العجيب أنـــك قريب مني ، ومـــع ذلـــك ، أين أنت ، وأين أنـــا ، لست أدري » •

وأخيراً قفز التركي غاضباً وهدده بقضيب حديدي •

« أنت أيها الأبله الأحمق ، أخبرني عن شيء تعرفه ، وإذا لم تكن تعرف شيئاً فلا تتحدث عن السخافات » •

فقال المغني : « لم كل هذا الصخب ان معناي خفي » •

ما لم تنكر كل شيء آخر ، فان اثبات الله سوف يظل يفلت من قبضتك :

انني أنكر لكي تجد دربك الى التوكيد •

انني أعزف لحن النفي : وحين تموت فان الموت سيكشف لك المستور ـ لا الموت الذي يأخذك الى القبر الحالك ، بل المـــوت الـــذي ينقلك ويولجك في النـــور •

أيها الأمير ، وجه القضيب الى نفسك ،

شطر الأنانية الى أفلاذ •

زواج العقول الحقة

سعيدة برهة جلوسنا في القصر ، أنت وأنا ،
بشكلين وهيئتين ، ولكن بنفس واحدة ، أنت وأنا •
الوان الحرج وأصوات الطيور ستمنحنا الخلود
لدى وصولنا الى الحديقة ، أنت وأنا •
نجوم السماء سوف تأتي كيما ترنو الينا :
ولسوف نريهم القمر بالذات ، أنت وأنا •
أنت وأنا لن نظل فردين ، اذ سوف نمتزج بالنشوة ،
مسرورين وخالصين من الثرثرة البلهاء ، أنت وأنا •
وجملة طيور السماء اللامعة الريش سوف تلتهم قلوبها حسداً
في المكان الذي سوف نضحك عنده بهذه الطريقة ، أنت وأنا •
وتلكم هي الأعجوبة العظمى ، أنك وإياي نجلس في ركن واحد ،
ونكون في الوقت نفسه في العراق وخراسان ، أنت وأنا •

الحياة الارضية

أيتها النسخ الفقيرة عن أصالة السماء ،
أيتها الصور الأرضية الشاحبة المتفسخة حتى التلف ،
أي ضير في أن جمالك يتهشم ويتهاوى ،
طالما أن الذي أعطاك الحياة يستمر الى الأبد ؟

❊ ❊ ❊

لاتزعج قلبك بالأسى الخانق :
الحوار العلوي الذي يخلب الأذن المبتهجة ،
والمشاهد الطبيعية الموشاة والألق الباسل
آيــل الى التلاشي •
انه يموت ، ولكن الأمر ليس كما نخشاه •

❊ ❊ ❊

بينما تمطر النوافير الحية في البعيد ،
فان كل جدول صغير يرجع طافحاً الى الينبوع •
وبما أن الجدول والنافورة لايملكان الموت الى الأبد ،
فلكم هو من الغباء أن تجزع ، ولكم هو من العبث أن تنوح •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

❊ ❊ ❊

ما هذه النافورة ، أيمكنك حقاً أن تعرفها [1] ؟
انها النفس حين تنفث المخلوقات طراً •
لا ريب في أن الأنهار لن تكف عن الانسياب •
الى أن تصمت الينابيع الآبدة •

❊ ❊ ❊

---

١ ـ النافورة كناية عن الحياة وعن التجدد الابدي للوجود . وبما أن الصوفية يطابقون بين الله والوجود ، فان النافورة هنا هي الله نفسه ، الله الذي تنبثق منه الموجودات برمتها . والبيت الثاني في هذه الفقرة يوضح ذلك .

ودّع الأسى ، وبعقل هادىء
اكرع طويلاً وعميقاً : دع الآخرين
يحسبون القناة التي يجدونها فارغة ،
أو يقيسون ذلك الجدول الذي لا يقاس[1] .

* * *

آن أتيت الى هـذا العـالم ،
انتصب سُلم بوسعك ارتقاؤه ،
وفي البداية صعدت خطواتك ، التي ثابرت على الصعود ،
من المعدن الى النبات ، ثم تابعت العليان
حتى الوجود الحيواني ، وبعد ذلك صرت الانسان
ذا المعرفة والعقل والعقيدة .

* * *

أيـة محجـة عجيبة !
هذا الجسد بدأ كومة من التراب ـ
ما أجمل تقويم هذا الكل المجمل !
ومع ذلك ، لا تتوقف الرحلة في هذه المحطة :
لسوف تغدو ملاكاً لامعاً ذا بيت في السماء .

---

١ ـ القناة الجافة هي الحياة الارضية التي لا معنى لها في نظر الصوفي ، اذ هي منفاه الذي يباعد بينه وبين الموطن الاصلي . أما الجدول الذي لا يقاس فهو الوجود العصي على الفهم .

فغذّ السير ، وتوغل أخيراً في البحر العظيم
فإن قطرتك الصغيرة ستجعل المحيطات السبعة
سبعة أضعاف •

* * *

« أين الله » كلا ، لا تقل هذه الكلمة ،
بل قل « الله الواحد ، المحض ، الحق ، الحق المفرد »
فأي ضيرفي أن يذبل اطارك ، ويشيخ ويموت ،
طالما أن النفس تصون شبابها الأبدي الطازج ؟

* * *

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحب في الغياب

كيف لا ينبغي أن أحزن ، كالليل دونما نهار ، ودرن ملامح نهاره المضيئة ؟
مرارته حلوة في نفسي : فلتكن نفسي أضحية للمحبوب الذي يحزن قلبي!
اني أتعشق الأسى والألم ابتغاء مرضاة مليكي المنقطع الأنداد •
لآليء هي النجوم التي أذرفها من أجله ، ولو حسبها الناس دموعاً •

واني لأشكو من نفس نفسي ، ولكني في الحقيقة لا أشكو : بل اتكلم فقـط •

يقول فؤادي أن المحبوب يعذبني ، وأنا ، منذ زمن طويل ، أهزأ بادعائه الفقـير •

امنحني الحق ، يا مجد الاستقامة ، أنت المنصــة
وأنا عتبة بابــك •
أين العتبــة والمنصــة في الواقــع ؟
اين المحبوب ؟ اين « النحن » و « والأنــا » ؟

أنت يا من تحررت نفسك من « النحن » و « الأنــا » ، أنت يا ماهيــة الروح في الرجال والنساء ،

حين يغدو الرجال والنساء كائناً واحداً ، فأنت ذلك الواحد ،
وحين تمحي الأجزاء ، فأنت الوحدة •

لقد ابتكرت « الأنــا » و « النحن » كيما تلعب لعبة العبادة مع نفسك، إذ كل « أنــا » وكل « أنت » يمكن أن تغدو نفساً واحدة وأن تنغمس أخيراً في المحبــوب •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اعتذار ابليس

في البدء كنت ملاكاً : وبنفسي كلها خلال الدرب منذوراً لخدمة الرب •

كيف يمكن للاسم الأول أن ينسى ؟ كيف يمكن للحب الأول أن يتلاشى من فؤاد المرء ؟

ألم تكن يده المضياف هي التي أنقذتني ؟ ألم يكن هو الذي أنهضني من اللاوجود ؟

من قدم لي الحليب في إبان طفولتي ؟ من مهد لي المهد ؟ انه هو •

الطبيعة المنسابة مع الحليب ــ أيمكن لها أن تنفى ؟

كرمه ولطفه ومحبته هي الجوهر الحقيقي لدرهمه ، أما غضبــه فمجرد لطخة من الأشابة على ذلك الدرهم •

لا آبه بغضبه ، إذ هو مسألة موقوتة • إني لأطمع برحمته السابقة أزلاً •

هب أن الحسد كان دافع رفضي للانحناء أمام آدم ، مع ذلك فان هــذا الحسد قد انبثق من محبة الله ، وليس من العصيان •

الحسد كله ينبثق من الحب ، خوفاً من أن يصير الآخر رفيق المحبوب •

فتنميه الغيرة هي النتيجة الحتمية للحب ، تماماً مثلما أن عبارة «يرحمك الله » ينبغي أن تلحق العطاس •

فطالما أنه لم تكن ثمة حركة الا هذه على رقعة شطرنجه ، وطالما أنه أمرني باللعب ، فأي شيء آخر كان فعله في ميسوري ؟

لقد لعبت اللعبة الوحيدة الممكنة ، وقذفت بنفسي في الأسى •

وحتى في الأسى أتذوق مباهجه : إنــي لمصطحب به ، مصطحب به ، مصطحب بــه •

ملاحظـة :

صلح المتعارضات مقولة اساسية في الفلسفة الصوفية . ولهذا جاءت هذه القصيدة للتوسط بين الله والشيطان . واللافت للانتباه أن التسويغ الجدلي الذي قدمه الشاعر لعصيان ابليس ربه يتلخص في أن ذلك الملاك المتمرد قد رفض الركوع لآدم خوفا من أن يصير أبو البشر أثيرا عند الله فيفقد ابليس حظوته عند الكائن الأزلي . أي أن حبه لك وغيرته عليه هما الدافع الذي حثــه على الرفض . وبما أن ابليس مازال يحب الله فانه في وحدة معه ومتصالح واياه . والأهم من ذلك ان الضرورة هي التي املت عليه اتخاذ موقف العصيان ، بل هو انما عصى ربه بناء على ارادة ربه .

الموروث والبصيرة

الأذن وسيط ، والعين عاشقة تتواحد مع المحبوب ،
للعين الغبطة الفعلية ، أما الأذن فليس لها الا الألفاظ الواعدة بالغبطة •

في السماع ثمة تحويل للسمات ، أما الرؤية ففيها تحويل للماهية •
فلئن كانت معرفتك بالنار قد أخذت من الألفاظ وحدها ،

إذن ، حاول أن تطهى بالنار !
مامن يقين حدسي إن لم تحترق :

ولئن رغبت في ذلك اليقين ،
عليك أن تجلس في النار •

حين تكون الأذن لماحة ، فانها تغدو عيناً ،
والا وقعت الألفاظ في الفخ
ومنعت من ولوج الفؤاد •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اغنيــة القصبة

أصخ السمع لهذه القصبة الأسيانة ،
تنفث منذ أن قطعت
من مهادها المندفع
نغم حب وألم مشبوبين •

❋ ❋ ❋

« سر أغنيتي ، مع انه قريب ،
ليس ثمة من يملك أن يسمعه او يراه .
آه ! أنى لي بصديق يدرك الاشارة
ويمزج نفسه كلها بنفسي !

* * *

إنها شعلة الحب هي التي الهبتني
انه نبيذ الحب هو الذي ألهمني .
أتود أن تعرف كيف ينزف العشاق ؟
اصغ ، إذن ، اصغ للقصبة ! »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ملاحظـة :

تقوم هنا بين القصبة ، او القيثارة ، وبين النفس مماثلة واضحة . فالقصبة اجتثـت من مهادها وأخذت تنفث الحانها نواحا على هذا المصاب ، والنفس البشرية اجتثت من موطنها الازلي وقذف بها في المنافي الارضية الغريبة عن طبيعتها ، فاخذت هي الاخرى تنوح المـا على فراق مهادها القديـم .

رُؤيـــة شرقيّـــة

أشعـار يابانيّـــة

ترجمة عدنـان بغجـاتي

ملاحظات حول الهايكـــو

الهايكو ضرب من الشعر المقتضب الرقيق ينظمه الشعراء اليابانيون منذ مئات السنين • وهو قصيدة تتألف من سبعة عشر مقطعاً في ثلاثة أبيات (البيت الأول والثالث خمسة مقاطع والبيت الثاني سبعة) •

تتضمن قصيدة الهايكو غالبا اسم فصل من فصول السنة أو قرينة تدل على هذا الفصل • وبمقطع أو أكثر يجعل الشاعر قارئـــه يستحضر الطقس وأوراق النبات وحياة الطيور والحشرات ويوقظ فيه المشاعر التقليدية تجاه الطبيعة والفصول •

من أبرز شعراء الهايكو باشو (١٦٤٤ ــ ١٦٩٤) وعلى يده تمت بلورة هذا النوع • وقد كان باشو أحد اتباع مذهب زن البوذي الذي يؤمن بالهوية المشتركة لاشكال الحياة • وقد تجلى في شعره ذلك الإدراك الجذل لتلك الفلسفة الصوفية والقدرة الخاصة على تحويل الأشياء الدقيقة المحيطة بـــه الى شعر •

أحبه تابعوه ومن خلفه من الشعراء ونهجوا نهجه مما ساعد على تخليد

فلسفة زن وبقاء أثرها في شعر الهايكو الى زمن متأخر •

يلي باشو بوسون (١٧١٥ ــ ١٧٨٣) ويقف معه على قدم المساواة في الصنعة والحذق وان كان أكثر ثقافة وتحرراً • ويأتي ثالثاً إيسا الحزين (١٧٦٣ ــ ١٨٢٧) الذي أصابه القدر بفقد أبنائه • وربما كان إيسا أقل شاعرية من سابقيه الا انه أكثر قربا الى القلب • وشعره الدامع عن أبنائه الموتى وأصدقائه الصغار من الحشرات من عيون الشعر المؤثر •

بدهي أنه من المستحيل ترجمة الهايكو ترجمة دقيقة محكمة • ذلك أن الهايكو زاخر بالاقتباسات والتلميحات والتوريات والمعاني المزدوجة إضافة الى ان لغة الهايكو كما يحدث بذلك الذين يعرفون اليابانية أقرب ما تكون الى الصياغة البرقية فهي لا تستخدم أدوات الربط ولا تبين زمن الفعل ولا توضح الضمائر أو دلالات المفرد والجمع •

ترجمت هذه الأشعار عن الانكليزية عن المجموعة التي قام بترجمتها عن اليابانية بيتر بيلنسون طبعة بيتربوبو ــ نيويورك • وقد نشرنا نماذج منها في مجموعة وفي الموقف الأدبي والمعرفة تحت الاسم نفسه « رؤية شرقية » •

أخيراً لا يتوقع من الهايكو أن يكون واضحا وضوحا كاملا ولذلك يفترض بالقارىء أن يضيف الى النص بعضا من تداعياته وتصوراته الخاصة مما يساعد على تحقيق الاستمتاع بهذا النوع من الشعر بحيث يكون القارىء شريكاً أو نظيراً للشاعر • وهذا ما يأمله المترجم •

وأنا أتلــو الآيــات ...
ما أغرب ما أجــد
في تلك الزرقة الرائعــة
من أمجــاد الصبـــاح

كيوروكو

ما أتعسك أيتها الهرة العاشقة
أنت أيضا لابد ان تموئـــي
مع حبيبــك ...
وربمــا ، أسوأ ، بدونــه
ياهــا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في الدكان المفتوحــة
تحمي ثقالات الورق
دفاتــر الرســوم
من أنسام الربيع الشابــة

كيتــو

مئــات الفروع
تنبت من براعم
الروح الخصبــة ...

ومن الكرمــة الواحــدة

تشي يوني

الافعــى أنسلــت
وبقيت عيناها الصغيرتان اللامعتان ...
الندى يأتلق بين الأعشاب

كيوشي

تحت أمطار الشفق
تتجلى أزهــار الخبيزة
الرائعة الألوان ...
ما أجمله من غروب

باشو

فمك المفتوح أيها الصديق ، يكشف
كل دخيلتك ...
ضفدع اجــوف

آنون

انظر الى أنسام الصبــاح
تنغش الشعر الحريــري
الصقيــل ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ليرقات الفراش •

بوسون

ايها الشحاذ المحظوظ •••
السماء المتألقــة
والارض النديانــة
كل أملاكــك

كيكاكو

لا نأمه ولا رعشة •••
الظلام يحل
على الحقول والدروب
انا حزين : القمر غاب

ايموزيني

الفراشة المتأنقــة
تعطر جناحيهــا
بالطواف
حول الزنابــق

باشــو

تحت شمس المساء الصفراء

ظل الفزاعـة الطويل
يمتــد
ويبلغ الدرب

شوهــا

زهرة الكاميليــا
تسقــط
فوق المياه الساكنة
للبئر العميق المظلــم

بوسون

للامبراطور نفســه
لن يرفع قبعته ...
ذلك الفزاعة ذو الظهر القاسي

دانسوي

بايمان بسيط
أقضِ حياتــك ...
تماما مثل أزهــار الكرز
تذوي ثم تسقــط

ايســا

طويلة نهارات الصيف ...
آثار اقدامنـــا الكسلى
تطرز
رمال شاطيء المحيط

شيكي

غاضبا اندفع الى بيتي ...
لكن في حديقتي
تنتصب
صفصافة عتيقة حليمة

ريوتـا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تسع مرات نهضت
لأرى القمر ...
وخطوه الوقور يدل
على أنا لا نزال في منتصف الليل

باشـــو

« افعل أسوأ ما يبدو لك
فلن تستطيع جَرحي
ايها الصقيـــع الهرم » .

قالت الأقحوانة الأخيرة .

اويمارو

ريح الخريف القاسيــة
تنفذ حتى العظــام ...
يا فزّاعتي المسكينة

ايــا

الآن في أواخــر الخريف

انظــر :
فوق كومة مهملاتي البالية ..
مجد صبــاح ازرق

تايجي

جندب وحيد

يهسهس ويهسهس ويهسهس
ويظــل ...
شمعتي تذوي وتموت

آنون

تعاودني الوحشة
عقــب

الألعاب النارية ...
اظر : شهاب يهوي

شيـكي

علي أن أتقلب ...
حاذر الزلازل المحلية

يازميل فراشي

الجنــدب

ايســا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ما أكثر حسادها ...
أوراق السرو
تظــل شامخة
تتأمــل الموت

شيـكو

كم تؤذي العين ...
الاظافر المطلية بالاحمر
امــام
الاقحوانــة البيضــاء

تشيوني

الجندب الجذلان الذي لم يصبه البلل
يهسهس جاعلا الخريف
مرحـا
ويزدري الصقيع

باشو

الاقحوانات
المختلفة الالـوان
تعمق جذورهـا ، تنثر حبها ، ثم تموت
وأرض سوداء واحدة تطوي الكل •

ريوسوي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بعد هزيمته في صراع الحب
امام مصارعين اقوى •••
يبحث الهر عن الفأر

شيكو

تعالوا : أضيئوا المشاعل :
انظروا الى اللص
الذي امسكت به •••
آه •• إنـه ولدي الاكبر :

سوكان

الثلجة الأولى في الخريف
كافية لكي تثني
اوراق
النرجس الذابلــة

باشــو

يا ثلوج الخريف الهاطلة :
ماذا لو كنت سرب لقالق
بيضــاء صامتة
في هذه السماء الداكنة :

سوكان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

امطار الشتاء تعمق

الحروف المحفورة

على القبر ...

وعلى حزني القديم

روكا

ايتها الصفصافات الهرمة المتعبة
أفكــر :
ما أكثر ما طال الطريــق

حين تنحيت عنــه !

بوسون

لا زيت في المصباح لاتابع القراءة
فلأذهب الى سريري
لكن آه ...
وسادتي يضيئها القمر

باشــو

انظــر الى الشمعة :
أية ريــح جائعــة
تلك التي تصطاد في الثلج ؟

ســيرا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صدر حديثاً

عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق

القرار

قصص للكاتب الجزائري الحبيب السائح

زولفيا شاعرة الربيع والقمم في سبع قصائد

ترجمة : يوسف أحمد المحمود

أشعة شمس طشقند الربيعية تملأ الغرفة • انهم يصعدون أنظارهم في رفوف الكتب من الأرض الى السقف ، ثم يحطون بها على مكتب كبير •

ربة البيت امرأة أنيقة ، نشيطة ، مسحت بيدها على شعر رأسها الأسود المزدان بأسلاك فضية ، وقالت باطمئنان : « أعتقد أن كل شخص يحس ، بمرور السنين ، كم كانت المدة التي استغرقتها حياته طويلة ، وبنفس الوقت كم كانت قصيرة • كم كانت طويلة بما عشته ، وشاركت في المجهود العام • وكم كانت قصيرة ، اذ بقي عليك الكثير لتفعله •• »•

صمتت هنيهـــة ، ثم عادت تقول :

« إنني أعتبر نفسي سعيدة جدا • لقد شهدت كثيرا من الطيبة الانسانية• والطيبة لا ينساها الانسان أبـــداً •• »

لهجتها كانت هادئة وجريئة • الكلمات لم تكن تلقى عشوائيا ، بل كانت خلاصة خبرة حياة • فالحقيقة أن زولفيـــا تختار كلماتها عن تفكير عميق • ذلك ما ينبغي أن يكون • فهي شاعرة ، شاعرة عميقة التفكير ، معروفة ومعتبرة لافي

مسقط رأسها ، أوزبكستان ، وحسب ، وانما في الاتحاد السوفييتي جميعا وفي عدة بلدان أجنبية • ومن حق الشاعر الذي يحظى بهذه الشعبية وبهذه الشهرة أن يكون سعيدا • الا أن هذا لم يأت تلقائيا ، بل حققته زولفيا بعمل دائب ، وسعي خلاّق مضن •

وحياة زولفيا ترتبط ارتباطا كليا بحياة جمهورية أوزبكستان • فهي تفتتح ديوانها ، الشلال ، بهذه الابيات :

أصوات الشعب نفذت الى عقلي وقلبي معا •
وبذلك كتبت أشعاري •
قطرات المطر تجتمع فتشكل نهرا ،
وحيوات الشعب تعطي للأوطان شكلها المصيري •
من ذلك النهر أنقع غلتي ،
واني لمستعدة أن أبذل دم الحياة ،
إذا ما اقتضته حياة بلادي •

وهذا الديوان الذي قد كانت منحت به جائزة حمزة في أوزبكستان ، يعطي فكرة عن مطلة الفنانة السوفيتية العالمية ، التي لاتنفصل حياتها عن حياة الملايين من مواطنيها •

وتقول زولفينا : « إنني كعضو في مجلس السوفييت الأعلى ، وكرئيسة تحرير مجلة المرأة ــ « ساعدات » ،فقد كنت على اتصال مباشر مع مئات ، بل آلاف الناس • مهمتنا الرئيسية ، في وقت من الأوقات ، كانت أن نقنع المرأة

الأوزبكستانية ، بالانضمام الى العمل المشترك في المجتمع الجديد • أما الآن ، فقد وصلنا الى درجة أعلى ــ إننا نسعى الى رفع مستوى المرأة الثقافي ، أن نوسع معارفها ، لنتغلب على آثار الماضي التي لا تزال ، ولنكن صريحين ، تظهر في الحياة اليومية بين الحين والآخــر »•

في طفولتها الأولى ، كانت زولفيا الصغيرة ، وهي تقف بجانب سيــاج الدار ، تحب أن تحدق ، عن بعد ، الى قمم الجبال المغطاة بالثلوج ، وتسأل :

ــ ما ذلك الذي هناك ، يا أمــي ؟

ــ الجبــال ، ياطفلتي •

ــ كلا • ماذا وراءها ، يا أمــي ؟ هل يوجد هناك أناس ؟

فأجابت الأم مكتئبــة :

ــ إنني لا أعرف • كيف لي أن أعرف ؟ لا طريق للوصول الى هناك • انظري ، كم يكون ارتفاع تلك الجبال مرعبا وكم تكون باردة •••

ولكن تلك الجبال أثبتت ، فيما بعد ، أن ارتفاعها لم يكن « رهيبا » ، اذ طارت فوقها زولفيا عدة مرات ، وهي تزور بعض الأقطار الشرقية •

إن أشعار زولفيا منتشرة انتشارا واسعا في الهند ، بورما ، وسري لانكا • وقد منحت جائزة جواهرلال نهرو ، والمكتب الدائم لاتحاد كتاب آسيا وأفريقيا منحها سنة ١٩٧٠ جائزة اللوتس الأدبية ، اعترافا بأدبها وميزاتها الاجتماعيــة •

كتبت في إحدى مقالاتها : « إن قلبي لك ، أيها الشعب ، فلأجلك أمجد الفجـر ... » وكان لا يحق لأحد أن يستعمل هذه الكلمات ، ولكن زولفيا اكتسبت هذا الحق طوال حياتها .

وفي قصة حياتها صفحات كثيرة مشرقة . اذ قد كانت شاركت شعبهـا التضحيات وتحمل ويلات الحرب. فقد زوجها، رفيقها ومعلمها، حامد المجانوف كان ، بالنسبة لها الجرح الذي لم ينقطع نزيفه . قالت فيه قصائد كثيرة عميقة الإحساس ومدهشة . ومع أن حزنها كان عميقا ، فلا يأس و لاقنوط في هذه القصائد ، اذ وجدت الشاعرة ، باتصالها المباشر بالشعب وبحياة بلادها ، ما تسيطر بـه على حزنها وألمهـا .

ذات مرة قالت : « انك تعلم أني لا أثق بالناس الذين يلومـون الحظ القاسي باستمرار . إنه ليبدولي أن الانسان بمثل هذه الشكوى لا يحاول الا أن يبرر قصوره الذاتي وضعف إرادته . إن هذا عمليا ليس أكثر ولا أقل من حماقة . على الانسان أن يتعلم كيف يستمد البهجة من الحياة ، أن يكافح لأجل ذلك ... الشيء الهام أن يكون للانسان أصدقاء طيبون ، وأن تكون أنت نفسك صديقا طيبا للناس ، عندئذ ، بلا شك ، تعرف السعادة ... » .

ذلك هو موقف زولفيا في الحياة . وهذا هو ما أكدته في شعرها . إن دواوينها الكثيرة تعكس بوضوح شخصية الكاتب المستقيم .

إنني ، منذ أن أخذت أتصفح كتبها ، من دواوينهـا الصغيرة ، الـى مجموعاتها الأخيرة ، الذكرى تتحدث ، وقوس قزح ، وكلاهما منح جائزة

لينين سنة ١٩٧٦ ، منذ قرأت السطور المألوفة ، اكتشفت أسرار الشعر العظيم ، الحقيقة الأبدية ، الشعر الذي ينبع من القلب الصافي المفتوح يجد ، بلا جدال، تجاوبا في قلوب الناس الآخرين •

وزولفيا شاعرة غنائية • شعرها يعكس دائما مشاعرها الشخصية • يعكس اخلاصها واحساسها القلبي الحار •

وكيفما كان ، فان عالمها الغنائي ليس محدودا بمشاعر شخصية مجردة خاصة ، وانما هو واسع جدا ، يتضمن غنى شعور وفكر لفرد يشمل تفكيره المجتمع الذي عاشت فيــه •

إن رفاق زولفيا المخلصين ــ « الأغاني الأحلام والحب » ، يذهبون بها الى مساحات خضراء من الحقول الربيعية، حيث زراع القطن، وزراع الحبوب، الى المستنبتات الصناعية والبساتين ، تستلهم عمالها ، وهم «مثل الفنانين تماما»، يطورون أنواعا جديدة من الورود والأزهار ، لتغرس في أرض كانت جافة ، وسهوب كانت قاحلة ، فأخصبت بتصميم ومثابرة •

إن عالما بهجا وجميلا منبسط أمام القارىء في قصائد زولفيا • هو عالم العامل ، سعيدا وملهما • وشعرها ينفذ الى المستقبل بايمانها ــ ايمان يجد التعبير باستشراف العالم المتفائل ، الذي هو ميزة الشعر السوفيتي الجيد •

شعر زولفيا يمجد الشعب الذي تحرر من العبودية والاضطهاد • وقــد شقت على نفسها كثيرا، اذ كانت تدرك أنها مدينة للشعب، وعليها واجب المواطن والشاعر معــا :

إنني ابنــة الفنــان ــ المعلــم
الذي يخلق الشعر من الأعمال اليومية ،
أنــا ابنة الشعب • فهل أستحق
أن أكون روحــه السامية !

هذه الرغبة الحارة ، أن تكون قادرة على أن تقول الكلمات الصادقة ، الموحية للناس ، الكلمات التي يطلبها الناس ، أن تكون جميلة وأخاذة ، كمــا هي نفوس الناس • تلك هي الكلمات التي تتخلل شعر زولفيا كله وحياتهــا كلهــا •

أدهم اكباروف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

افتح النافــذة !

من حيث أضطجع ، لا أرى الا القمم البيضاء وتألقها الناصع ،
فادفع السرير الى قرب النافذة حيث كل شيء شديد الزرقة •
الثلج أبيض ••• واني ، في الوقت الحاضر ، لأمقت كل شيء أبيض ،
فدعني أنظر الى الأرض ، الى مشهد أخضر غض •

الأشجار كلها ، مثل فتيات بوجوه نضيرة ، تبدو مغسولة من جديد ، شعورهن مسرحة وبثياب مقصبة يرفلن ،

والضوء الذهبي على قاماتهن وأذرعهن يتبارى لاهيـــا ،
كجسر الى السماء مصنوع من أشعة الشمس •

الربيع قادم • مثل الرسام الماهر يخطـــو ،
شجرات الرمان عندما تمسها فرشاته تتألق •

ولأشجار المشمش يعطي اللون ــ أيها المتردد ــ
من ّ علي ّ أيضا • امنحني مسحة احمرار •

اذا كانت ألوان الربيع لاتقيم في قسمات وجهي ،
اجعلني فقط أحس بأنفاس الربيع ! فالعصافير ،
هناك ، محلقة ، غير خائفة تغني • ان أغاني ّ تسبح تلك الكائنات ،
فاترك أصواتها تأتي الي ّ الآن • انها نازلة من السماء !

ما أشد اشتياق قلبي الى الموسيقى • افتح ولو قليلا !
افتح النافذة ! لعل رئتي ّ تشعران بالحرية •
لاشيء يعذب كالربيع وتأثيره الفعال ،
أوه ، سامحني ! ان النافذة ، حسبما أرى ، لاتزال مفتوحة •

إنني متجمدة ، أنوء بوطأة العلل ،

الفراش ، الآن ، يحس كالثلج ، لو أن جذوة بيضاء الآن ...
صوت العندليب من خلال النافذة يملأ ذلك الجمود
والأزهار في يدي تتساقط من الأشجار .

بجانب الينبـوع

على رأس شجرة مظلمة الشكل ، القمر الجديد ،
يبزّ ، بومضة فضية ، كل نور أرضي .
عاشقان يقفان صامتين ، وخفقات قلبيهما
تغلب على هدوء الليـل .
الينبوع ، مزبدا يفور ، ويدوم ،
شآبيب رخية من اللؤلؤ النادر تنحدر رذاذا ،
عبث الماء يضيف سحرا الى هذا الحب ،
برهة سعادة يتقاسمها قلبان .

نور القمر لا يلبث أن يشحب أمام لهبة الفجر النارية ،
افترق العاشقان ، والمتنزه امتد صامتا ، هادئا .
أوه ، هل لبهجة هذا الحب الخالص أن تدوم ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أن ــ تظل أيامهما مليئة بالنور والحبور !

الأيــام .. الأيــام

خريفي ينقلب الآن الى شتاء ،

البرد القارس يلتهم جسمي •

الآن فقــط أدركت أنّ لفحه

كأشد ما يكون لفح السعير •

لو كان خدّاي الشابان موردين صحة

فهل كان مثل هذا الألم يمزق لحمي ؟

انــه كالجليد يتكاثف حول جسدي ،

ويلسع كالملح في جرح طريّ •

في الشتاء البارد أعاني صراعا ضاريا ،

انني أصرخ ــ فمي يتعجّى بمرارة ــ

الدموع تتحول الى جليد ــ بارد وقارص ،

يلدغ ، يلسع عمري ــ يسفع وجهي •

الأعوام تطير ، أجل ، الأعوام ... انني أرتعد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كأوراق شجرة يقصفها البَرَدُ •

خيط حياتي هل سينقطع قريبا ؟

وآخر ومضة من عمري ، ستتلاشى ؟

أم أن هذا كله من هذيان الحمى ،

والأشجار أبدا ستظل مزهرة ؟

ولن يحدث لي ، أبدا ! أبدا !

حتى الى ما لا نهاية ، ذلك الرعب الشرس •

أوه ، سرير المستشفى هذا أبيض وموحش ،

الأفكار غير المسرة يتعقبها كل واحد •••

ومع أن قلبي ليس الا بشريا ومنهكا ،

سيتحمل ، وهو الآخر سيقاوم •

افكر في حياتـي الماضية

عندما أتصفح دفتر مذكرات الماضي ،

أرى أن أيامي قد استنفذت عيشا ،

في السعادة لم أخف أن أفـرح ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفي الحب ، فقد أشبعت حبي الى أقصى حـــد •

لم أبال ان كانت ثيابي غنية أو فقيرة ،

مافي قلبي من المشاعر يشغلني ،

واذا ما الحب مات وملأ أيامي الحزن ،

فان المبدأ هو السلوان والعزاء •

هكذا ، وأنـــا أستعيد كل سني حياتي

لا تنهدات غير مجدية ، ولا أسف ــ عشت •

لقد عهدت نعماء وضراء بلا حصر ،

تذوقت الفخر الرفيع والحزن العارم •••

وعلى هذا جميعا أقدم شكري للحياة !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مرة اخرى اشتاق ان يعود الربيع

مرة أخرى أشتاق أن يعود الربيع ،

مثلما تصبو لذلك كل شجيرة ، كل برعم ، كل واد وهضبة •

مرة أخرى ، والشتاء يسحق روحي ، أحن الى عودة الربيـــع ،

أكثر مما يحن الكثيب الأجرد المنتظـــر •

أيتها الأرض ، وأنت مقيدة بسلاسل الشتاء ،
قلبك يتلهف الى رعاية الربيع الرقيقة ،
كما يتلهف قلبي • إنك تستدعين الربيع
بزهر التفاح الثلجي المتفتح الجميل •

يا أغنيات الربيع المبكرة ، غني للأرض ،
حطمي بالغناء ، من فورك ، هذه القيود الشتوية
وانطلقي ، يا قلوبنا ، بصيحات الفرح ،
مرحبة بالربيع ، مطّرحة حياة الألم •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أيها الربيع ، بعدا لأحلام الشتاء !
لقد مضت ببردها وأحكامها القاسية •

انني مشتاقة لكلمات الربيع الحبيبة ،
ولكن أنوار الربيع لم تلق ظلالا بعد •

وكما ، في الصبا ، ذات مرة جئت ، في الأيام المبكرة ،
راقصا ، تدور حول نفسك ، أبدأ عيدك الآن ، أيها الربيع !
من أفراحك اصنع وقاء دائما

يمنع آلامي وأحزاني أن تعود الى الأبد •

المطر يسقط

الى كامل ياسين

الليـــل •

ومرة ثانية الأرق •

هستريا تشد الأعصاب كالخيوط ،

شيء ما يهمس غمغمة ،

شيء ما يرفرف بلا تبصّر ،

متفرقا يصلصل الصمت •

الربيع انقضى •

الماء يتساقط ،

الظـّلام • انـّي أجهد نفسي لأسمع

شهاب يشق سماء اللـّيل ،

غمامة من الضـباب تقترب زحفا •

الصـّمـــت •

!المطـــر يتساقط

دائريـــا وناضجا مثل الحبوب •

الظلام لين ومضطرب ،

كلّ شيء ملفّع بضجيج هادف •••

فهل من رسالة توضّح ذلك !

ايقـــاع !

الزمـــن يمـــر

المطر المتساقط خارجـــا يضرب بسرعـــة •

الساعات ، الأعوام ، والعصور •••

أستمع قول الحكماء :

لاتدع يوما عبثـــا يمضي •

ثمينـــة

الهبـــات التي قدمتها لنـــا الحياة

بوركت ، يا ليلي غير النّائم !

لقد قلت لي بسكونك ــ

« خذي قلمك وبقوة

أكتبي كل ما عشتـــه ! »

المستقبل

المستقبل !

انّك أمام عينيّ ماثل ،

مسرعـــة ،

أمسك بحاشية الأحلام ،

لكي ألقاك

قممك الشاهقة ، حيث تتألق أشعة الشمس ،

تنهض جلية أمامي الآن •

وبعينين لم يكن أرق منهما قبل أحدق

الي قمم أيّـــام

المستقبل المهيبـــة •

« الغـــد » !

ما أكثر الذيـــن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في الماضي

ظنوا أنك ، بما يبهـج ، ستأتـي ؟ !

مسرعـة

الى قمة الجبـل

حيث لم يكن مثقال ذرة مما رغبت

جريـت •

« الغد » !

أيتها الأرض التي أذهلت الجميع !

أسرارك العميقـة

هي جوهرك الحقيقي ،

الشيء الوحيد الذي أعرفه :

أن لا طاغيـة ،

ولا حكيمـا

يستطيع أن يعيق سيرك المظفر !

« أيها الغد » !

انني قمتك المثيرة أبصر •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فما عسى أن تعطينا بالبهجة والحب ؟ ...

ماذا ستنبت ؟

في الميزان ـ أيـة واحدة

من الكفتين المتحركتين ستكون الأرجح ؟

ما عسى أن سيهيمن ،

وما الذي سيسود ؟

الزمـن

سيحكم على هـذا

ختمـا .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

زمننـا الراهـن

هو عيـد الشعوب

حيث يكافأ الكدح بسخاء

عالم اليـوم

من الغرب الى الشرق يتألق

وعالم الغـد

ضعفين سيكون أبهى !

«أيهـا الغـد» !

انني أطاردك

فأيـن تتوجـه ؟ ...

انتظـر ! ...

ولو لدقيقة واحدة ـ أقم

معنـا

أيّ أطفال الزمـن المجنح ،

الى الكواكب

سيأخذ طريقـه لأول مرة !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كلا ، انهم بالنار اللافحة يتسابقون ...

كالأرض المتحركة منذ الأزل ، ولن تتعب الى الأبد .

«أيهـا الغـد» !

توقف !

اقترب لتلهمني الشعر !

لقد اكتشفت ومضة جناحيك الفضية

انهما في السماء يحلقان ...

انّني أتوقع

أيّ لحظــة

أيهــا الريش المتألــق

ستسقط على الأرض •

تأمــل ، ان الريش يبرق من مسافة بعيــدة •••

انني ، في كل مكان ، أجد آثــارك !

على الأكمام ،

على طرف شال ـ

ريشك اللامــع ،

على سماط كعالم بلا حدود

أيها الغد ، أحس أن النور يبلــغ مداك •

فماذا يهم أن لــن ألمسك

.أو اذا أخفقت أغنيتي أن تكتنفك ؟

ماذا اذا كانت حياتي برهــة عابــرة

أو اذا كنت ، وأنا معلقة بقمم الجبال العالية ،

لم أستمتع أبدا بالحظ الكبير

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أن أحدق اليك بعيون مستلهمة ؟

هل أثنى عليك الشعراء الآخرون في أكثر من قصيدة ــ

ان المدة التي تستغرقها كل حياة ليست ، بالحقيقة ، طويلة ــ

أولئك الذين أصغر منا ، هم منّــا أشجــع •

ومع هذا ، فاني أنشدك ، أيها الغد العظيــم ، مادحة ! •••

مبتهجة كأني أنا نفسي قد خلقت

أشعارا جديدة رائعة ، براقة ذهبية •

مرة ثانية أشعر أنّ قلبي بالشباب يتموج

فهل سيمتزج هذا القلب بزمننــا وبشعبنــا

برنين أعظم وأقــوى مما كان ؟

عن مجلة : « الأدب السوفييتي »

صدر حديثاً

عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق

المنهج والمصطلح

دراسة خلدون الشمعة

فلسطين الألبانيّة

محمد موفاكو

المقدمــة

في الحقيقة قد يستغرب المرء حين يطلع على الشعر الألباني المعاصر ويرى مدى ارتباط هذا الشعر بفلسطين وبالقضية الفلسطينية ، الشيء الذي يشكل استثناء بمقارنة الشعر الالباني مع الشعر الاوربي بشكل عام • ولا شك ان هذا الارتباط بالقضية الفلسطينية في الشعر الالباني ما هو الا امتداد لذلك « الهوس » بالقضية الفلسطينية الذي يسيطر على الالبانيين بشكل عام ، الشيءالذي يثير ويحير كل من اتيح له الاحتكاك بالالبانيينمن قريب او من بعيد •الا ان هذه الحيرة سرعان ما تتبدد بالرجوع الى التاريخ ، الذي يمكن بواسطته فقط فهم هذه العلاقة المتداخلة بين الفلسطينيين والالبانيين •

في التاريخ الحديث ، تاريخ القوميات المضطهدة ، هناك حالة فريــدة جمعت بين ظروف كفاح ونضال الشعبين الفلسطيني والالباني في سبيل التحرر والاستقلال ، وسط محيط عدائي شرس من مختلف الجهــات [1] • في هذا

(١) مشكلة الشعب العربي الفلسطيني مسقطة عليه من الخارج ، من أوربه البعيدة ، وهي حقيقية اساسية في معاناته . « المجلة »

المحيط كانت مشكلة هذين الشعبين الصغيرين واحدة : شعب حكم عليه بالتشرد وصودر حقه في استمراره كشعب وفي تشكيل دولة خاصة به • فالشعب الالباني الذي توصل الى حضارة مزدهرة في قرون ما قبل الميلاد ، انقلبت عليه الاحوال منذ القرون الاولى للميلاد ، حيث تشتت تحت ضغط موجات الغزو والتوسع من يونانية ورومانية وصربية وبلغارية الخ •• ، ولقد حدث هذا في الوقت الذي كانت فيه فلسطين تتعرض الى موجات الغزو الصليبية ، التي أرادت ايضا أن تحرم الفلسطينيين من حقهم في وطنهم •

وبالاضافة الى هذا ، فقد رزح كلا الشعبين الصغيرين لعدة قرون من الزمن تحت الاحتلال التركي • ومن المعروف أن الشعب الألباني خلال هذه الفترة لم يتخل قط عن البندقية، التي استطاع بفضلها فقط أن يثبت وجوده وأن يستمر به على الرغم من تعدد الاطراف المعادية له ، ومما لا شك فيه ان تمسك الشعب الالباني بالبندقية ، مع جملة الظروف الاخرى ، قد أتاحت له أخيرا الوصول الى انتزاع حدود ما لألبانيا في عام ١٩١٢ ، تلك التي شملت فقط جزءا من الشعب الالباني ، على حين ان الجزء الاكبر كان قد تشرد عبر عديد من الدول (ايطاليا ، تركيا ، رومانيا ، بلغاريا ، امريكا ، مصر ، سوريا الخ) وبالاضافة الى هذا فقد قسمت حدود ١٩١٢ الشعب الالباني الى قسمين، حيث اشتملت حدود البانيا على القسم الاول ، على حين ان القسم الثاني شملته الحدود الجديدة للدول للمجاوره ، وبشكل خاص حدود يوغسلافيا ١٩١٨ التي شملت غالبية هذا القسم الذي عاش ويعيش اليوم في اقليم كوسوفا•

لقد تعرض هذا القسم الذي بقي في يوغسلافيا ، بعد ان شملته حدود ١٩١٨ ، الى ابشع انواع الاضطهاد ، القومي والاجتماعي على يد البرجوازية

الصربيه على مدى ثلاثين عاما تقريبـــا (١٩١٨ ــ ١٩٤٥) • فيوغسلافيـــا القديمة (١٩١٨ ــ ١٩٤٥) التي قصد منها ان تكون جامعة ديمقراطية لكل القوميات المتناثرة كانت ، كما قال الرئيس تيتو ، بلدا نموذجيا في اوربا من حيث الاضطهاد القومي ، حيث استعبد فيه الالبانيون وغيرهم • وفي اطـــار هذا السجن وجد الالبانيون انفسهم ، الى جانب المكدونيـــين وغيرهم ازاء وضع مأساوي ككتل غير مرغوب فيها داخل يوغسلافيا ، وعلى هذا فقد كان المخطط الرسمي يرمي دون مواربة الى محو الشخصيـــة القومية للألبانيـــين باسرع ما يمكن ، ومع الزمن امتد هذا التهديد الى الوجود الجسدي نفسه وتحت ضغط الارهاب الذي لا يوصف بـــدأ الشتات الالبانـــي واضطرت عشرات الألوف من الالبانيين الى الهجرة للخارج للبحث عن مأوى •

في هذه الظروف الصعبة ، في تاريخ الشعب الألباني ، لم يكـــن كفاح ونضال الشعب الفلسطيني غائبا عن اذهان الألبانيـــين ، في تلك الفترة كان الشعب الفلسطيني يكافح الاحتلال البريطاني والاستعمار الصهيوني لفلسطين• في تلك الفترة كان هناك تواصل بين نضال الشعبين المشترك في سبيل تأكيـــد الذات القومية مما جعل الكثير من الالبانيين يعتبرون ان المعركة واحدة ، وأن القتال على جبهة يعادل القتال على الاخرى • وعلى هذا فقد حمل الكثير مـــن الالبانيين السلاح ليقاتلوا على الجبهة الفلسطينية ايمانا منهم بان المعركة واحدة بين الشعبين • وقد تركت لنا حرب ١٩٤٨ ما يدل على مشاركـــة المتطوعين الالبانيين من مدنيين وعسكريين ، الذين قاتلوا ببسالة للدفاع عن فلسطـــين للفلسطينيين من هؤلاء المتطوعين كان هناك قسم من الالبانيين الذين هاجروا الى

المشرق العربي واستقروا فيه ، فقد حرم هؤلاء من الكفاح في سبيل وطنهم ، الا أنهم نقلوا البندقية من كتف الى كتف ليقاتلوا في سبيل الوطن الذي حلوا فيه طالما ان المعركة واحدة والعدو واحد الاستعمار • ومن هؤلاء يجدر بنا أن نذكر المجاهد عمر ارناؤوط ، الذي منح عقب حـرب ١٩٤٨ وسام فلسطين والعديد من الاستحقاقات تقديرا لكفاحه على الجبهة الفلسطينية •

وبالاضافة الى هذا يجدر بنـا ان نذكر ايضا بعض العسكريين من الالبانيين الذين التحقوا بجيش الانقاذ ليقاتلوا جنبا الى جنب مع الفلسطينيين ، ومن هؤلاء العقيد مول بيركتاري الذي شارك في الدفاع عن يافا مع زميله العقيد حمزة ادريني ، والمقدم صبرى كايلاني والنقيب جمال لاشي وغيرهم •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الا أن هذا التواصل مع الشعب الالباني لم يتح له ان ينعكس بشكل او بآخر في الشعر الالباني في تلك الفترة،وذلك بسبب ظروف الاضطهاد القومي التي لم تعق تطور الشعر الالباني وحسب بل منعت في الاصل ولادته وتواجده في كوسوفا • ولكن مع تشكل يوغوسلافيا الحديثة (١٩٤٥) اتيحت للألبانيين بعض الحرية ، الا أن تركة الماضي بقيت تشكل نيرا في اعناقهم حتى سنة ١٩٦٦ ، التي فتحت صفحـة جديدة في تاريخ الالبانيين ففي هـذه السنـة منحت للألبانيين في كوسوفا حقوقهم القوميـة ، التي ضمنت لهم التعبير عن ذاتهم وبلغتهم ، الشيء الذي ادى بالتالي الى نهوض الشعر الالباني بعد أن بقـي لفترة طويلة مصفدا بالاغلال • وقد رافق نهوض هذا الشعر جملة تحولات على الجبهة الفلسطينية الشيء الذي انعكس على الشعر الالباني منذ بداياته ، فمن ناحية ، كان الشعب الفلسطيني يتحول من شعب لاجيء دون وطن الى

شعب مقاتل في سبيل وطنه ، الشيء الذي توج ببداية المقاومة المسلحة في عام ١٩٦٥ التي استقبلت باهتمام كبير في صفوف الالبانيين • ومن ناحية أخرى ، جاءت فاجعة حزيران ١٩٦٧ ، التي أدت فيما ادت اليه الى تصاعد المقاومـــة الفلسطينية ، لتزيد من اهتمام وحماس الالبانيين للقضية الفلسطينية • واخيرا جاءت الحرب الاهلية في لبنان لتربط الالبانيين اكثر من أي وقت مضى بالقضية الفلسطينية ، وتقتضي الحقيقة هنا أن نشير الى الدور الكبير الذي لعبه السيد نهاد اسلامي الذي كان مراسلا لجريدة ريلنديا خلال الحرب الاهلية والذي كان من الصحفيين القلائل الذين تابعوا الحرب الاهلية لحظة بلحظة ، الشيء الذي عرض حياته للموت عدة مرات • وقد كان للمقالات والتحقيقات التي نشرها نهاد اسلامي [1] ، وبشكل يومي في صحيفة رلنديا ، اثرها الكبير على نفوس الالبانيين • ويكفي ان نشير هنا الى المسلسل الطويل الذي نشره عـــن ملحمة تل الزعتر ، وذلك الذي أصبح على شفة ولسان كل الباني رمزا لتضحية وبطولة الشعب الفلسطيني ، وعلى هذا نجد بعد فترة من نشر المسلسل عدة قصائد عن ملحمة تل الزعتر •

ان هذه القصائد اللاحقة التي ترجمناها لا تشمل كل ما كتب عن فلسطين وعلى هذا فان هذه القصائد تشكل ديوانا مصغرا • لانها اختيرت من قصائد

---

(١) من الدراساتالتي تجدر الاشارة اليها تلك التي كتبها ن . اسلامي بعد زيارته لاسرائيل بعنوان عشرة ايام لا تنسى في اسرائيـــل ، التي ترجمت للعربيـــة ووزعت على مكاتب منظمة التحرير في العالم ، من طرف مكتب المنظمة في بلفراد ، كوثيقة ادانة لاسرائيل .

كثيرة من مختلف الاعمار والاتجاهات • فبشكل عام ، كان لدينا من هـذه القصائد ما كتب بشكل عميق تناول المشكلة الفلسطينية في اطار شمولي يعبر عن رؤيا ما لصاحب القصيدة ، كتلك التي كتبها مثـلا عمر شكريلي وبشير موصلي ، وطالما أن القصائد التي جمعناها عن فلسطين تتحد في اطار الموضوع ، لذا كان اختيارنا للقصائد اللاحقة قائما على أساس فني ، حيث اخترنا تلك القصائد التي تتمتع بقيمة فنية متفاوته اضافة الى قيمتها الموضوعية ، وبشكل عام فقد جاءت القصائد اللاحقة لشعراء لهم مكانتهم البارزة في الشعر الالباني ؛ الشيء الذي يبدو واضحا في الملحق ، ولا بد من الاعتراف هنـا بأن ترجمة القصائد الى العربية قد أثر الى حد ما على قيمة هذه القصيدة ، وذلك لاختلاف طريقة التعبير في اللغتين العربية والالبانية •

أخيرا بودنا ان نضيف ان الهدف من هذه المقدمة ، بل من هذا الديوان المصغر ، هو تقديمها للشعب الفلسطيني في هذه الفترة الحرجة ، فقـد يرى فيها شيئا الا وهو انه ليس وحيدا في كفاحه ونضاله ••••

م • موفاكـــو

بريشتينا ٢٥ آب ١٩٧٨

* * *

انـور جرتشيكو

تـل الزعتر

— مقاطع —

تـل الزعتـر
انت شاطيء بحر دون نهايـة

دون صخور ، دون رمـــال
انت وطنـــي المصغّر
الذي ترسمه اصابع وأيادي الاطفـــال
المشوهين بالنابالـــم

أنت من أكثر الاغنيـــات حزنـــا
التي تغنـــى للطفـــل
المولود بين الحب والحقـــد
للطفـــل الذي ينطق اسم امـــه •

أنت السورة الاولى والاخـــيرة
لقرآن جديـــد
لقرآن محفور على الجماجـــم
انت أعظم معبـــد
حيث يصلي المرء للآلهـــة
لآلهـــة الحريـــة
أما بقية الآلهـــة فتصمت
أو تـــردّ متأخـــرة

تـــل الزعتـــر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

آدم غيطانـي

الفلسطينيون

ليس لدينا حديقـة نمارس العشق فيهـا
ليس لدينـا ارض ندفـن الموتـى فيهـا
ليس لدينا حقـل نزرع فيـه حبـة شعير
ليـس لدينـا شـجرة أو عصفـور
ليس لدينـا بقعـة يرفرف علمنـا عليهـا
ليـس لدينـا اعراس ولا أغنيـات . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فلسـطين

لـن ينتزعـك أحـد مـن حلمنـا
لا الليـل ولا الطاعـون
الآن استريحـي في حضنـي الاسـود
واحلمـي بالطائـر الـذي سيعـود
روحـك في كفـي الحمـراء
يا زهـرة قطعـت بمنقـار غـراب
لا الليـل ولا الطاعـون
سينتزعانـك مـن حلمنـا . . . .

حب فلسطيني

لا ليس لدي وقت
للقبـــلات
للنظـــرات
رفاقـــي ينتظـــرون
تحت زهـــرة الدم
ليس لدي وقت للهمسات ، للقمر
أو للقبـــلات
شعرك الاسود وعيونـــك السوداء
يلاحقني في كل خطـــوة
لا
الرفـــاق ينتظرونـــي • • •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشاعر الفلسطيني

فيعقب البندقية يكتب ابياتـــه
في جبـــاه الموتـــى
في طلقـــات الاعـــداء
في الرصـــاص المتطايـــر
يكتب النمـــل بالفسفور

ويرسلها ليلا لأرض العـدو
الدم ، الموت ، الحريـة
لايمكن أن يطفؤوا بريـق النمـل
هم بالآلاف ، مثلنـا
في الارض ، في السماء ، في المـاء
الوطن الفلسطيني في كل مكان
يبث من قلبه الابيات في سبيل الحرية
التي يسمعها كل انسـان

عمر شكريلي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فلسـطين

تشرب الماء في البحر الاسود المتوسط
في كأس من عالم مسموم
تطفأ ظمأهـا في أطفالهـا
لتتقيأهم محاربـين
لـذا لا تصدقـوا التاريخ
لا تصدقـوا ذلك العاهر
فالتاريخ لعبـة أطفـال
ومتحجر كتاريخ هذا العالم
يلتهم الناس ويطحن الناس والحجارة

اذا أردتم يمكن أن تموتوا بشكل أفضـــل
بشكل أطول وأعمـــق
يمكن أن تموتوا ألف مرة في اليوم المبارك
ومع ذلك ستكونون ملعونين ،
وستبقون أحيـــاء
فهذه طبيعتنا الميتـــة
ولكن الحية ايضا تشبه الانسان
قلب هذا البحـــر الميـــت
على عمق ثلاثمئة واثنين وتسعين مترا
أو ثلاثمئة وتسعين مترا
اذا أخذتم بعين الاعتبار قبورنـــا
من حيث تبـــدأ أربعة طرق :
طريق الى السماء والعيـــون
طريق الى تحت الارض والروح
طريق الى المـــاء والدمـــع
وطريق مأمون الى موت آخـــر

الالـــه ما وفر التراب ليخلف العالم
خلق الانسان والظمأ
فلـــق الصحراء
قادر على كل شيء :

اما يريـد ولا يستطيـع
أو يستطيـع ولا يريـد
اما لايستطيع ولا يريـد
أو يستطيـع ويريـد

اذن
من أين جاءت الخطيئـة
من اين جاء الانسـان

الالـه خلق الانسان والحقـد
والانسان اخترع النار واحترق
والنار احالت الرايات والازهار رمادا على وجه الارض
والرايات حملت الجثث على أربعة أقدام
والازهـار فتحت القبـور برائحتها
الجثث ورائحة الازهار ملأت عالمنـا
وهذا العالم بقي ما هو عليـه

ليس اسـوأ
وليس أفضل

الانسان فقط ازداد سوءا وموتـا

الحجر فقط ازداد ليونـــة واثـــارة
الموت فقـــط ازداد عمقـــا ووضوحـــا
الزمن فقط ازداد تعكيرا وارهاقـــا
الموت يقترب على هيئة انسان
بعين سوداء في عصب جبهته الزرقاء
ليصيبك في العين
الجوع يأتي على أقدامنـــا الحافيـــة
ويحملنا على أيديه كالطفل بين يدي امـــه
وبعد حين نكون اما على الصدر أو على الهاوية
الطاعون اول ما اخترعـــه النهـــار
لـــه رقية مكتوبـــة على جلودنـــا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مع عنوان الانسان :

طريـــق الله
رقم الشيطان

الموت يقترب على هيئة صديق حكيم
يمد لك يد الثعبان والصديق
ويقول لك بلغة الطحالـــب :
مع هذه اللحظة أنت وأنـــا وأنـــا وأنت

الموت لايقبل أي هيئة أخرى
الا هيئة الانسان الحزينـة
لانه يأتي من الانسان بيد الله
الى الانسان والله لصالح الشيطان
وتلك العين السوداء في عصب الجبهة الزرقاء
تأخذ للحظة الشمس المترمدة
تأخذ الارض تحت الاقدام ، تأخذ الماء والحجر
ولا تترك لك حتى الهواء الملون بالأدعية
بل تتركك وسط العالم دون قطرة من العالم
نحن مثـل الطيور المحنطة
فهي ايضا ليس لها تراب تمسه بأقدامها
وليس لها أرض خاصة بهـا
فوطنها الريح والزقزقـة
نحن لنا لسانتـا وعيونتـا
نحن مثـل الطيور
التي تطير في عكس الرياح
والرياح لا تتوقف لبرهـه
نحن ايضا ليس لنـا أعشاش
فأعشاشنا الانقاض الفاحمة
وسماؤنا دخان البارود

نحن لا نعيش فوق الارض للموت
ففي الموت يسكن أطفالنـــا
نحن لا نملك شيئا الا السماء
ففي السماء لنا الحقول والبيادر
لنـــا قطرات المطر وقنابل المدافـــع
في السماء يصفر لنا الرصاص
باسم الفناء والشتاء
نحافظ على العظام والبنادق
لنبني بها البروج والحصون
والجذور من الشتول
فنحن نشبه الطيـــور
وحتى موتنا له اجنحة الطيـــور
نحن نموت عدة مرات في عدة اماكن
ولكنا ما زلنا أحيـــاء
لاننـــا لانملك ارضـــا على وجـــه الارض
بل نسكن دائما في موتنـــا
هل شاهدتم صدفة اطفالنا ؟
المخلوقات الحية الوحيدة من البحر الميت
هل سمعتم بكاء اطفالنا القارص ؟
ليس لأطفالنا سروال تحت ثيابهم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولكن لهم علم
وامهاتهم يطفئن ظمأهن في البحر الاحمر
ليس لاطفالنا خبز بل رماد
ولا يعرفون النوم حين لا يعرفون الأم
فالنوم والأم توأمان
لكنهم سيبولون على التاريخ
الذي صنعتموه بالتراب فوق القبور
وسيولدون عدة مرات في اليوم
ليموتوا باستمرار في كفاحكم
اطفالنا يتعلمون كيف يمتصون طاعونكم
ليتقيئوكم مع وجوهكم
وليغيروا طبيعة الصحراء
ليس لاطفالنـــا امهات
ولا يعرفون لهم آباء
يلعبون بعظام الآبـــاء والامهات الاغراب
وبأزرار الجنود المفقودة
يعلقون انفسهم على حراب البنادق
ليحموكم من ضربـــة شمس
يكمنون لكم برؤوسهم الصغيرة والطرية
ليبدّدوا عتادكم وحقدكم
مرة خرج الثعبان من حجره

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ليلتهم النبتـــة البريئـــة
التي كانت تأكل من عرقها فوق جحره
ومرة خرج التنين الجائع
ليضرم النار في العشب الطري للانسان
قلب الارض البريئة حتى اسفل السافلين
وزرع القبور لتنبت الاموات
وسمم الدم حتى جعله كالبارود
وفي مرة اخرى خرج التنين من مكمنه
لكي لا يبقى بذرة للانسان
جمع الاطفال من هنا وهناك
ولاحقت ناره الابرياء الصغار
على مدى القارتين
ومن حينها بدأت رقصة الموت
وتحول صغار هذا العالم
الى رقيـــه للمـــوت
ليحافظوا على اسمه من الصدأ
من الزمن السموم لبحيرة العفن
من الهواء الملون عبر القرون
من الماء الذي يغلي من البراءة
من التراب الذي لم يشبع بعد من الحليب والدم
الانسان والحجر كانا صديقين قديمين في يوم ما

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الانسان تحول الى حجر من الصبر
والحجر هبط تحت الارض بهيئة انسان
ذات يوم ستتوقف الشمس ذاتها
لترى ارضها المسكينة التي اصبحت للشيطان
ذات يوم سيتوقف الزمن فوقنـا
ليرى ذاته في وجوهنـا المسودة
في مرآة البؤس لينفجر من الغيظ
ذات يوم سيمد الافق يديـه
فوق تأوهاتنا وأطفالنـا
ليأتي هؤلاء معنـا ومع المـوت
الى نهاية طريقنـا المرهـق
وحينها سيبلع التراب الرمل الحـار
وسينهض البحر الميت من فراشه
لينفض النعاس من عينيـه
وسينهض البحر الاحمر مزرقـا
من عيونـا التي فقأت من الدمـوع
حينئذ ستلد نساؤنـا
أطفالا بلون البرونز فقـط
وسنشيد دربا مشجرا الى السماء
لنقول للالـه الطيب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لقد وهبتنـــا حياة لعينـــه

عانينا فيهـــا ما عانينـــا

من الزمن ومن النبي ومن الانسان

نشرب الماء في بحركم الاسود

وفي غضـــون هـــذا

تدور الارض حول محورها

حول الشمس

وتدور الشمس ضـــدنا

ولكـــن

الله الذي خلـــق الانسان والظمـــأ

متى سيطفىء ظمأه فينـــا

إنـــه قادر على كل شيء

اذن

من اين جاءت الخطيئة الى هذا العالم

وكم سيطول زمن الانسان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هذا العالم بقي ما كان عليـــه
ليس أســـوأ
وليس أفضل

لان
الارض تدور حول محورها
(والقمر يدور حول الارض المسكينة)
والارض تدور مع القمر حول الشمس
وهؤلاء الثلاثة يدورون ضد الانسان

يعقوب ســـرايا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حكاية ام فلسطينية

اليوم ، من الصعب أن تكوني أما فلسطينية
في تل الزعتر ، في ليلة مظلمة مع ثلاثة أطفال
مع ثلاثة آمال لأغنيتنا التي لم تغن بعـــد
كانت ليلة حابكة بالبرق والنار
ككل ليلة فلسطينية
منذ احدى عشرة سنة
قلت للأطفال ، لابد ان نغني شيئـــاً
لكي لانسمع فقط الصرخات

وغنيت ، وعادوا يرجونني بصوت واحد
ــ أماه ، يا أماه ، لا تبكي !

في تل الزعتر ، في ليلة مظلمة مع ثلاثة أطفال
مع ثلاثة آمال لأغنيتنا التي لم تغن بعد ،
كان أحدهم رضيعا ، كان ما يزال يرضع من صدري
كنت اغني لـــه بدل ان ارضعه
لأن الحليب قد جف في صدري
الاغنية كانت اغنية ، الا أن الصوت كان نواحا
وعاد أطفالي ليعزوني :
ــ أماه ، يا أماه ، لاتبكي !

وفي تل الزعتر ، في ليلة مظلمة مع ثلاثة أطفال
مع ثلاثة آمال لأغنيتنا التي لم تعد تغن بعد
احدهم اصبح يلفظ أمـــي
الثاني أصبح يعرف ما يعني هذا الاسم وماذا لا يعني
الثالث اصبح في استطاعته أن يحميني
وأنا أصبحت للبكاء فقط
ولكن الان يقولون لي بلسانهم وعيونهم
ــ أماه ــ يا أماه ، غنّي ولا تبكي
غنّي للمقاومـــه
التي ستحيينـــا وستنقذنـــا

محمد كرفيشي

فلسطين

كم هي قريبة فلسطين

فلسطين تسافر من قلب الى قلب
فلسطين تستريح من روح الى روح
كم وكم تخطت المـــوت
لتصل الى الحريـــة

❁ ❁ ❁

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

للحزن اجنحـــة
وللشعلة عيون
والنار تتنفس عبر البيوت
الالم يتحدث مع الناس عبر الخنادق
والدم ينشد أغاني المجـــد
الحجر يتقاسم التعب والمعاناه
مـــع الانسان مع صديقه
والحب يبقى دائمـــا في يقظـــة

❁ ❁ ❁

النار تمتد على دروبك الطويلـة
والنجوم ترشد الليل الى طريق عودتـه
احصنة طروادة الباهتة تحني رؤوسها
والغبـار في أعينهم المغلقـة
يرقص رقصة فراقهم الباردة

بشير موصلي

آه فلسطين

يا أبناء آدم الخاطىء
وحـواء الملعونـة
من حملكم الى هذا السهل الذي ليس سهلا
لتبعثـوا المـوت
الذي تحملونـه على ظهوركم عبر العالم
يا أبنـاء آدم اللعين
وحـواء الخاطئـة
الالـه وزع اشجار الجـوز
ما حلّ بكم يا أبنـاء آدم وحواء
من أين عدتم الى هذا السهل الذي ليس سهلا
حيث كنتم الما على رؤوس الاصابـع
وتحت الاظـافر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كنتم حملا على ظهر كل انسان
وما زلتم تبحثون عبر العالم عن الظلال المفقودة
التي تجدونهـــا فينـــا
نحـــن ابنـــاء آدم البرىء
وحـــواء المقدســـة

ما زلنـــا هنـــا
على رابية الحياة تتطلـــع منذ قرون
الى السهل الذي ليس سهلا
نخدع الشمس بظهورنـــا
لتحملنا ثانيـــة الى تلك الضفـــة
حيث يمكن ان نرى مع الموت العظيم
الذي ما شاهاناه قط والذي معنـــا
لكي نعظـــم شهرزاد
في الف ليلة وليلة أخرى
لكي نهبط مرة أخرى في الفردوس
لكي لانفقد ما فقده آدم
ونحن ، ابناء آدم المسكين
وحواء السلالة
نحول هذا التيـــه عبر العالم
الـــى تفاحـــة

ويجلس أطفالنا ليأكلوا أصابعنـــا
نضع المعابـــد على ظهورنـــا عوضا عن المجاعة
نعبر عالم الاحـــلام
لنهبط بسهولة مرة أخرى على الضفة الاخرى التي لنـــا
حيث تتخلص من الالم والعزاء
تلك التي بقيت فوقنـــا
ولا نشاهدهـــا
أو نشاهدها مع أنهـــا فوقنـــا

ابنـــاء آدم الخاطـــىء
وحـــواء البريئـــة
من أيـــن والى أيـــن ؟

قالوا انك الابـــن الاصغر لآدم
والاثم الاكبر لحـــواء
الان عليك ان تسافر عبر العالم
لكي لاتقع في الاثم في أي مكان
ولكن لا تشاهد أباك في أي مكان

الرحلة استمرت واستمرت واستمرت

وما توقفـــت الاقـــدام في أي مكان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في أي مكان لم تكن هناك نقطة ماء في الرمـل
بل عالم الرمـل فقـط
وحتى الشمس قالوا من الرمل
كل شيء قالوا كل شيء
قالوا أنك الابن الاصغر لآدم
والأثم الاكبر لحـواء

لم نلتق في أي مكان مع آدم الخاطىء
ولا مع حـواء الخاطئـة
ولا مع الاثم الذي ما اقترفناه
ولا مع ذلك الذي جعلنـا
وسط اربعين ابنـا لادم وحـواء

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في كل وجه بحثنا عن جزء من وجهنا الضائع
في وسط الرمال الحارة
من وجهنا الذي وعدنا به في بداية الرحلة
كالارض الموعودة
ما وجدنـا في أي مكان ذلك الوجه من الرمال

صعدنا الى اولمب الكذبة الكبرى
على اهرامات العزة الصديدة

بصقنا على بابــل المفتوحــة
وأمسكنا بيد هنيبال المجنون
لندله على طريق الفردوس المفقود
اصعدنا فرعون على رؤوس الاصابع
ليتمكن من حك ظهره
الذي تجذم في سهل الرمال
قذفنا قرطاجة في الماء من الظماء
ومع ذلك بات كل شيء في غطيطة
حتى الليلة الاخيرة لشهر آذار
ماعدنا الذين ما زلنا نسافر
ونسافر ونسافر ونسافر
الى هنا حيث لــن يكون لنــا شيء

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومرة أخرى قالوا لنا
اتتم ابناء آدم وحــواء الخاطئــة
فابحثــوا عن جذوركم التي لاتملكونها

بحثنــا وبحثنــا وبحثنــا
وجدنا كل شيء وما لنــا شيء
أي شيء
لاننــا فتحنــا كفنــا

ومن كفنا طارت العنقاء واحترقت
ومن رمادها عادت حية مرة أخرى
ومرة أخرى فتحنـــا كفنـــا
فطارت العنقاء واحترقت
وبقيت زهرة في رمادهـــا
اسكرتنا برائحتها
انزلنـــا ملوك العالم على الاحضـــان
واعطونـــا لنشرب ما حرم من الشراب
ومن السكرة ما زلنا نتطلع للشمس
يا ترى هل ستوهبنـــا مملكة مـــا
هل يمكن ان تفتح ثانيـــة اهرام خوفـــو
لتزجنـــا فيه أحيـــاء
او لتخرج ذلك الفرعون المجنـــون
الى وسطنا ليقرأ لنا الكتاب الملعـــون
من حيث علينا أن نبدأ عد الزمـــن
من النهايـــة الى البدايـــة
أو من البداية الى النهاية

وبحثنـــا وبحثنـــا وبحثنـــا
والآن اين نحن ، ماذا تفعل وماذا سنفعل ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الالـــه وزّع اشجار الجـــوز
حيث كنتم كما قالوا لنـــا
وبعد أن وزعت الاشياء الاخرى
نزلت الشمس على لساننا وما تكلمنا
والصحراء بقيت على كفنـــا
لا يمكن بعد الآن ان نزرع الزهرة
ولا يمكن بعد الآن ان تطير العنقاء
سهل الرمال اغلق فمنـــا
لا يمكن أن نأكل
ولكن يمكن ان نموت كما قالـــوا

ARCHIVE
http://Archive-Palestine.com

ولكن من سمع هذه الكلمات
من جاء بعد آدم وحـــواء
سمّوه غير شرعي

قالوا لنا ابحثـــوا عن جذوركم
فهذه ليست الارض الموعودة لكم
فبين الاربعين ابنـــا وبنتا لآدم وحـــواء
ليس لكم أثـــر
يمكن أن تكونـــوا ابنـــاء الرمل الحـــار
الذي خلقكم من النار المباركة

لذا لا تتوجهوا الى آدم وحـواء
إذ لستم بين الاربعين ابنا وبنتـا
لآدم وحـواء
لأن أبناء وبنـات آدم وحـواء
قد توزعوا عبر هذا السهل من الرمال
وتركوا اثرهم في كل مكان
فابحثوا وابحثوا وابحثـوا
عن فلسطين تلـك
ايـن فلسطين ؟
يمكن أن تدوروا على سيخ النـار
ان تحرقوا الاصابع من اللمس
ان تسافروا الى آخر العالم
وأن تعودوا ثانيـة الى هذه الرمال
ولكن لن تأخذوا شيئا
لانكم أبناء غير شرعيين لآدم وحـواء
واذا كنتم
ويمكن ألا تكونوا حتى من هذه الارض
يمكن ان تلقيكم الالهـه
لتعوّا عبر العالـم
حتى يشملكم الله برحمتـه
حتى يمنحكم الشمس كالصاج

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من المشرق الى المغـــرب
لتدفئوا اقدامكم الحافية
ولتدفعوا شهرزاد في مزيد من الاحلام

وقالوا لنا ابحثوا وابحثوا وابحثـــوا
ونحن بحثنا وبحثنـــا وبحثنـــا

قالوا أنك الابن الاصغر لآدم
والاثم الاكبر لحـــواء
ارحـــل عبر العالم على ظهر ناقـــة
لكي لاتقع في الاثم في أي مكان
ولكي لاتشاهد أباك في أي مكان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الرحلة استمرت واستمرت واستمرت
وما توقفـــت الاقـــدام المتعبـــة

في أي مكان ما كانت هناك نقطة ماء مقدسة في الرمل
بل فقط عالم الرمـــل
وحتى الشمس قالوا من الرمـــل
كل شيء قالوا كل شيء
قالوا أنك الابن الاصغر لآدم
والاثم لحـــواء
فيما لو كنت

ما اجتمعنا في أي مكان بآدم الخاطىء
ولا بحـواء الخاطئـة
في كل مكان بحثنا وبحثنا وبحثنـا
حتى هبطنا فلسطين
يا أبناء آدم الخاطىء وحـواء الملعونـه
من حملكم الى هذا السهل الذي ليس سهلا
لنبعث المـوت
الذي حملناه على ظهورنـا عبر العالم

ماذا حل بكـم
يا أبنـاء آدم وحـواء
من أين جئتم الى هذا السهل الذي ليس سهلا
حيث كنتم ألمـا على رؤوس الاصابـع
وتحت الاظافر منذ الآف السنين
كنتم حملا لا يطاق على ظهر كل انسان
وما زلتم تبحثون عن الظلال الضائعة
التي تجدونها فينـا
نحن أبنـاء آدم البرىء وحـواء المقدسة

آه فلسطين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بدري هيسا

فلسطين

بين فلسطين و الفلسطيني عشق

يفو ق كل عشق

بين فلسطين و الفلسطيني حب مجنون

ربط بينهما على مر القرون

حلت القيامـــة بهما

لكن ، لا فلسطين ولا الفلسطيني ركعـــا أبـــدا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لقـــاء

ذلك الرجل جال بشوق بعيداً بعيداً

ليطفىء شوقه وليعاني في أرض غريبـــه

أماه ، قالت فتاة ، ما قبلني أحد بقوة

كما فعل هذا الرجل الغريب

علي موساي

صرخات فلسطينية

الارض ، يا امي العزيزة

مازلت خالــدة
بألف اسم
ومع أكثر من ألف قبر
ما استطاعــوا ان يدفنوك
ما زال فيك أملي
وفيك نجاتي
وفي سبيلك فقط سأفقأ عيون الشيطان
باسمي من الرعــب
لقد بدأت منذ زمن قرون الشيطان(١)
أحالتني الى رماد دون رحمة
كما لم أكــن
وداسوا عليّ بلــذة
كما لو كنت دون فم

(١) في المتولجيا الالبانية يمكن للشيطان ان يظهر بهيئة انسان باخفاء قرونه وذنبه ، ولكن حين تبدو قرونه فهذا يعني ظهوره على حقيقته .

دون حـــزن
ودون الم للأرض
تلاعبـــوا بـــي
كما لو كنت هابطا من الشمس
او لقيطا مرميا في الشارع

الارض يا ارضي

أنت ، الصحراء الظامئة
اللاهبـــة ، الخالية من الاشجار
لاتتركيني دون قبر
لا تتركيني دون حـــق
ابحثي عن الشيطان
بين السحب القاتمة من البارود
العنيـــة لـــي
حتى في الرمـــاد
دون أمـــين
العنيـــه لي في الظـــلام
القيـــه في هاويتي
لا زهـــق روحـــه بيدي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ليموت دون دم ، دون قبر
ذلك السـفاح
الذي ليس لـه اسم

عبد العزيز اسلامي

سبعة ملايين انسان يفرون من الموت

البدو يموتون على الاقـدام
وهناك القليل من المتسولين
اوليس هناك ابـدا
سبع سنين عجـاف
في الصحراء ليس هناك واحات
ليس هناك ناقات
ولا أحـد يعرف
هل ستهطل الامطـار

وسط الدهشة

الجفـاف الـذي ولـد المصائـب
قطـع شرايـين الواحـات
ليشـرم منهـا الـدم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حـين خرجت القافلـة مـن جهنم
كشـف المحيـط الابيـض
عـن الآثـــار الدمويـــة

رذاذ المطـــر المـالـــح
شـــوّه شـــكل الفـم
وسـط الدهشـــة فقـط

حرارة البرد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الجفاف يلاحق في امكنة التعذيب
الذين يموتون عموديـا ،
قد قالوا عن المـوت
هادىء ومستقيم
أما الموت المائـل
فهو في الكلام والفعل الشنيع (١)

كل ما يقال يكرر ويعـاد

---

(١) كما يبدو لدى الشاعر ثلاثة أشكال للموت ، الموت العامودي (علـى الاقدام) وهو البطولي ، الموت المستقيم وهو العادي ، والموت المائل وهو الشنيع.

دون أي شيء ، دون أي شيء واضح
عن الحياة المترمّدة كما في اللعبـة
عن الحياة المحكومة يا للعنـة
بين الصيف والصيف ، دون مطر
وبين الشتاء والشتـاء ، دون فم

الظمـا

اللسان قطعة من رمـاد
مسخ الى حجر بسبب الكلمات الملعونة
الاصابع في الايدي اغصان شائكة
منحتنا بعض الامل والكثير من العزاء

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عوضا عن النبـع
يقودنـا الافق الى واحات حياة جديدة
الشمس أصبحت كالصاج
والرمال اصبحت كالفرن

في بحر الرمال هناك صخرة فقط
منحتنا الامل لخطوات أخرى
ومع حبات الماء التي تخفيها في صدرها
بدت لنـا الرمال مرجـا

الرمـــال

رمال الشمس منحتنا الرماد
اما رمال القمـــر
فهي قطعة جليد في النوم !

من يستطيع أن يقول أن الرياح لا تعلم
والمصير الاسود يعلّم كل شيء؟

المحكومة باللعنـــة

الرياح تشبع بآثار الدم والصديد
دون عودة ، دون نفس ، دون أمـــل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العين تتسلل في الجو المكفهر
حيث يتعانق الضبع والغزالـــة

الرأس على الرأس ، والشفة على الشفة
على وسادة ثعبان مكوّم كالجمـــاد

الجـــوع

الريح تغطي الاثار للآخرين
للبائسين الذين سيأتون بعدنـــا !

نحن الكبار نعيش على أمل
أن لا يأكل أطفالنـا
جيف الماعز والناقات

نود لو نكتشف واحات جديدة
الا أننـا تيـه
وسط الصحراء التي لا تنتهي

الريـح تغطي الاثـار للآخرين
للبائسين ، الذين سيأتي دورهم بعدنـا !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في وجـه العالم

كل شيء يحدث في وجـه العالم
كما في الحكايات القديمة
رائحة الموت تدق باب الضمير
وتنادي العقل الزاحف على يديـه :
ـ حتى يد الشمس العظيمة
ليست طويلة كما قالـوا
وحتى في عيون الموت لم ترتفع
الى مكانة المعبـود !

البحر يثور ويولد وسط الآلام
حوتـــا ضخما في الليـــل
وليس هناك من يقول « هس » !
لذلك الفقير الذي يثـــور !

صدوغ في قبضات

لن امر عبر الآلام
لن احشر عبر ذات المعاناه
لن اسبح وسط ذات الدموع
لن ازحف وسط ذات الحمى
اذا ما زارتني الامطار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لن أحمل في روحي ذات الجروح
لن أجعل ذات الآثـــار داميـــة
لن اتنشق ذات النفس في الهلاك
لن اغذي ذات القبور بالايام
اذا ما زارتني الامطار

لن أعاني ثانية من ذات التمزّق
لن ادوس ثانية ذات الخطوات

لــن يمضغنــي ثانيــة ذات الجــوع
لن يشربني ثانية ذات الظمأ
اذا ما زارتني الامطار

في القلــب

مثل جذوع الاشواك
اقف في الصحــراء
في قلبك الملتهب
أيتهــا الشمس السوداء!

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

توسلات جافــة

أيهــا المطــر
سأعطيك اقدامي الداميــة
مع طبل أطفالي الجائعين

أيهــا المطــر
سأعطيك أجنحتي المسترخية
مع طبل أطفالي الظامئين

أيهـــا المطـــر

سأعطيك عيوني الملتهبة من الظمأ

للواحـــات الخضراء ، للناقات

أيهـــا المطـــر

سأعطيك كل جسدي الممزق من الضرب

لتعيد لي ثانية الجنود على الحدود !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الوصية الاخيرة

اذا عادت الامطار الضائعة

سأذهب الى هناك

من حيث فررت من الموت الجائـــع

اذا ولدت الواحات مرة أخرى

سأذهب الى هناك لاستريح

من حيث فررت من ذاتي الملعونـــة

حسن حساني

العنقاء الفلسطينية

خلقت وسط الصحراء
وسط الواحـــات الخضراء
بعين واحـــدة
جذعها متجذر في طبقات الارض السبع
وفروعها منتشرة في السماوات السبع
ألا تسمع
كيف تأتي من الارض رائحة الخبز
رائحة الـــدم
التي تسقي الصحاري والنخيل

أكلمك بلغة البلقاني العريق
مع ابتسامة الجدود المرتسمة على حجارة البروج
وعلى رماد الوجاق الذي يحفظ ثمره القديم
لعصر ما والحب ينمو ولن يموت

يا ترى من أين يصب هذا النهر من الدم
في طريق الموت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والنهد يمتلىء بالنار
وبتجاهل الربيع والعرس والموت
في جناح ذلك الطائر الاسود
يا محموددرويش ذو الكلمات النارية
« لأن فيكم أطفال المستقبل .. » (١)
للقرن النيتروني
وأنا البلقاني الصغير
اتمزق حزنا كل ليلة في الساعة السابعة والنصف
حين تبدأ أخبـــار التلفزيون
بأحداث الشرق الاوسط
مع أنك تصبحين أقوى من الجلمود
وتمسين أشد التهابا من الشمس

في نصف رئة يطفو النار والدخـــان
والامطار تبلّ الشفاه ، المسلوخه من العطش
ابتهـــا العنقـــاء ،
في حقل خبزك لن يموت الحب
في كل مساء أو في كل صباح

---

(١) بيت من قصيدة لمحمود درويش نشرت في اللغة الالبانية ، بالاضافة الى قصائد اخرى في ديوان « نار على الرابية ١٩٧٧ » وهو أول ديوان شامـــل لشعراء بلدان عـــدم الانحيـــاز .

بل سينمو كما ينمو القصب
في الاودية الخضراء لعصر أجبر على الركوع بالدم

الشظايا تصيب القصب
والقذائف تسقط البرتقال
ولكن العنقاء تنمو ثانية
تنمو عملاقـــة

فلسطين العنقـــاء
بجروحها السبعة في جسدهـــا
وبشموسها السبعة في جبهتها
تلبس الدم والصباح المتفحم

في يوم ما سيرتوي القصب من الدم
وسينمو
وسترون للاطفال عن الخبز الاحمر
كما في الحكايات القديمة في « ألف ليلة وليلة »
وستثير هذه الحكايات الدهشة في عيون الاطفال الابرياء
ولكنهم سيصدقون

❋ ❋ ❋

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بنات توندرلاكي

بقلم الكاتب المجري : بينوهلتاي　　ترجمة : جورج صدقني

نبذة عن الكاتب : كتب بينو هلتاي (١٨٧١ ــ ١٩٥٧) عن نفسه ، فقال : « قصة حياتي ؟ عادية جداً ومملة ، إنها لا تستحق ان اكتبها ، وتستحق أقل أن تقرأ . لقد ولدت مثل معظم الناس ، وفي الثانية عشرة قررت ان اكون شاعراً وصحافياً » . وقد تحول هذا القرار الى حقيقة واقعة حتى قبل ان ينال شهادة (البكالوريا) . والتحق بكلية الحقوق ، غير انه سرعان ما ترك الجامعة . وصار صحافياً . في البداية جرّب الكتابة الجدية ، ثم تحول فجاة إلى كاتب ساخر لاذع السخرية . وفي عام ١٩١٣ ، كتب بين المزاح والجد ، فقال : « إنني ، من الآن ، اجذّف في زورق السخرية ، بلا امل في الخلاص » . ثم اضاف قائلا : « اريد ان استمر في الكتابة بضع سنوات اخرى ، ثم اختار لنفسي مهنة مشرفة » .

اشهر مسرحياته : الف ليلة وليلتان ــ الفارس الابكم ــ المقهى الصغير . واشهر رواياته : آخر البوهيميين ــ المشعوذ ــ السيد سلفردج . وقد ترجمت اجمل قصصه القصيرة الكثيرة جداً إلى عدة لغات ، واقتبس عدد من الافلام ، في بلدان متعددة ، من غيرها من قصصه القصيرة ــ المترجم .

بنات توندرلاكي كن ثلاثاً . اثنتان منهن كانتا شريفتين ، والثالثة لم تكن كذلك . هاتان الشريفتانكانتا تدعيان ماريسكا ويولان ، أما الوحيدة ، التي لم تكن شريفة ، فقد كان اسمها بوتي . إنها لم تكن حتى ممثلة ، بل كانت مجرد فتاة

استعراض ، وهـــذا يعني ، بالمجري الفصيح ، انهـــا آنسة تعرض مفاتنهـــا وتحيا حياة لا اخلاقية . كان لها في الواقع صديق وحيد وواسع الثراء . كان ينفق عليها ، فأثث لهـــا شقة فسيحة ، وأغدق عليهـــا الأموال والحلي ، وغمرهـــا بالعطور .

كانت ماريسكا ويولان تسكنان عند بوتي ، التي كانت تعطيهما الأثواب ، والقبعات ، والحلي ، والنقـــود ، لأن بوتي كانت أختاً طيبـــة ، تقـــدر الفضيلة لدى اختيهـــا الأصغر سناً منها حق قدرهـــا . وماريسكا ويولان كانتـــا ، هما نفساهما ، تعتزان بكونهما فتاتين شريفتين ، لا يتعين عليهما أن تقدما شيئا في مقابل السكن ، وجوارب الحرير ، والقبعات ذوات الريش ، والأحذية الملمعة .

وكان لدى ماريسكا ، فوق ذلك ، سبب خاص للاعتزاز . فقد كانت تتهيأ لتصبح معلمة ، وكان دبلومها قد صار في جيبها ، ولم تعد تنتظر إلا قرار تعيينها . غير أن هذا التعيين طال انتظاره ، رغم أن البارون ـــ بارون بوتي ـــ قد تنازل فتدخل بنفسه لدى بعض القضاة ، والمستشارين ، ولدى رئيس البلدية بالذات .

أما يولان ، فكانت ذات طبيعة حالمة ، كانت تريد أن تتزوج . زواجاً فاضلاً شريفاً ، كما تفعل الفتيات البورجوازيات الرصينات الأخريات ، فتقوم بأعمال المطبخ بنفسها ، وتتشاجر مع الخادمة في شقة من ثلاث غرف ـــ آه ! آه ! وثلاث مرات آه ! ـــ هو ذا ما كانت تعبده ، هو ذا الحلم الذي كان يبقيهـــا على قيـــد الحياة . لقد كانت تنتظر بفارغ الصبر رجل الخلاص ، الزوج المنقذ !

وكن ينتظرن . كن ، الثلاثة جميعاً ، ينتظرن .

ماريسكا قرار التعيين ، ويولان زوجاً ، وبوتي أن ترى تحقق حلمي أختيها الأصغر منها .

وذات صباح عادت ماريسكا مشرقة الوجه . وقالت لبوتي :

ـــ يا صديقتي ، أعتقد في هذه المرة ان الأمر قد انتهى . فالرجل النافذ ، الذي يتعلق تعييني بمشيئته ، قد ابلغني ان اذهب لأراه بعد ظهر هذا اليوم .

قالت بوتي : ـــ اخيراً !

وقالت يولان : ـــ حظك انت شق طريقه على الأقل .

واضافت في زفرة : ـــ ولكن اين يتعثر حظي ؟

وعلى إثر ذلك بقين هنيهة شاردات مع افكارهن .

واخيراً قالت بوتي : ـــ ارى انه ينبغي تماماً أن أتولى الأمر بنفسي . فأنت لن تتزوجي أبداً من تلقـــاء نفسك ، إنك حقا تخجلين خجلاً مفرطـــاً . انا التي ستزوجك .

قالت يولان ، وقد غمرتها السعادة : ـــ آه ! حقاً ، إذا كنت تريدين .. فأنت كل شيء ينجح على يديك .

فرمقتها بوتي متأثرة ، وقالت :

ـــ من الغباء انني لم افكر في ذلك من قبل . فالبنات الفقيرات من نوعك ينتظرن امير الأحلام عبثاً . إن المال هو الذي يتخذ القرار . والفرسان الراغبون في خدمتك لا يتجاسرون أن يقتربوا منك ، لأنهم يظنون انك لا تملكين ثروى نقير . ولكنهم مخطئون . لقد قررت في هذه اللحظة بالذات أن امنحك عشرين الف كورون بائنة (دوطـــة) .

فلبثت يولان خرساء فرحاً . وقالت بعد صمت طويل :

ـــ عشرين الف كورون ! ...

وقالت ماريسكا ، وقد اخـــذ الحنان منها كل مأخذ : ـــ انت الأفضل بين الاخوات .

فأجابتها بوتي ، متأثرة هي ايضاً : ـــ نعم ، لقد احسنت قولاً ، إنني بنت طيبة . هذه العشرون الف كورون هي ثروتي كلها . ولكنني اعطيها لك .

* * *

عادت ماريسكا من عند السيد النافذ ، الذي كان تعيينها متعلقاً بمشيئته ، حتى قبل أن تذهب بوتي إلى المسرح . وكان وجهها متجهماً .

سألت بوتي بقلق : ـــ لم يسر الأمر على ما يرام ؟

قالت ماريسكا : ـــ كأنه كذلك .

ـــ فماذا جرى ؟

ـــ آه ، لا شيء ! .. كان بالإمكان أن تسوّى القضية ، وان اعين فوراً ، ولكن الأبله افهمني بحزم أنه لن يفعل ذلك مقابل لا شيء .

ـــ يريد مالاً ؟

ـــ تظنين ! لكن يبدو أنني اعجبته ، ولذلك ..

ـــ آه ، حسناً !

اخذت بوتي تفكر . ويولان ايضاً . ولاذت ماريسكا بالصمت .

سألت بوتي بعد صمت قصير : وماذا قلت له ؟

فصاحت ماريسكا بنبرة تنم عن الشعور بالإهانة : ـــ وماذا تريدين أن اقول له ؟ انت لا تتصورين على كل حال انني كنت سأدخل في مناقشة مع رجل من هذا الطراز ؟ انت تعرفين مبادئي ، الخ ..

فقاطعتها بوتي فزعـــة ـــ لكن ، ارجوك ، هيّا . إنك تسيئين فهمي . اعرف حق المعرفة انك بنت شريفة ... ولكن ... مع ذلك ... كيف انتهى هذا ؟

ـــ لقد انصرفت . تركته فجأة دون استئذان . قلت له إن بوسعه تماماً ان يحتفظ لنفسه بقرار التعيين ، لانني افضل الموت على الانحراف عن الطريق المستقيم .

قالت يولان مؤيدة : ـــ أحسنت القول .

واقرت بوتي : ـــ تماماً . وهو ... بماذا اجاب ؟

ـــ بأن هذا مضحك ، وانه ينبغي علي ان افكر ، وان الامر يتعلق في نهاية الامر بمستقبلي ، وانه لا يريد إلا مساعدتي ... وقال لي ان اعود غـــداً ... وهنا اجبته بأنني لن اطأ مكتبه بقدمي بعد ذلك ، وانصرفت باكية . ولكنني فكرت في الطريق بأنه سيكون من المؤسف مع ذلك خسارة فرصة كهذه .. اليس صحيحاً؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قالت يولان : ـــ بالتأكيد .

وقالت بوتي : ـــ بالطبع !

ـــ لذلك فكرت بأنه ربما كان هناك حل ...

سألت بوتي : ـــ اي حل ؟

ـــ لو ذهب احد لرؤية هذا الرجل ، ليشرح له انني لست امراة من هذا النوع . لو اثار احد عطفه لكي يسلك مسلك رجل مهذب، ويكف عن الابتزاز ...

سألت يولان : ـــ اجل ، ولكن من يمكن ان يذهب إلى عنده ؟

فقالت ماريسكا بنبرة فيها شيء من عدم الاطمئنان : ـــ بوتي ... إن لها اسماً ، وهي تحسن الكلام ، ولكلامها وقع في نفوس الناس ...

شحب لون بوتي :

ـــ اذهب إليه ، انا ؟

فردّت ماريسكا متحمسة : ـــ لم لا ؟ ليست هذه تضحية كبيرة جداً ... بوسعك تمامـــاً ان تفعلي هذا لأجل اختك . اراهن انك لن تحتاجي إلا إلى كلمة تقولينها له ، فأنال تعييني .

نظرت بوتي إلى يولان ، وكأنها تنتظر منها كلمة احتجـــاج ، غير ان هذه قالت :

ـــ انت فتاة طيبة جداً يابوتي ... لقد سبق ان امنت مستقبلي . فيجب ان تفعلي شيئاً لهذه المسكينة ماريسكا ..

سألت بوتي اخيراً بمرارة : ـــ و ... إذا هذا ... هذا السيد لم يشـــأ كذلك ان يمنحني هذا ... مجاناً ؟

فتبادلت اختاها ابتسامة ، ثم قالتا في وقت واحد :

ـــ هيا ، يابوتي ، مع ذلك ! ...

* * *

جلب تعيين ماريسكا حسن الطـــالع ليولان . فقد اخـــذ معلم من زملاء ماريسكا يتردد على الاخوات الثلاث ، وشغف بيولان . ويولان لم تصدّ الفتى . ولم يزد حب هذا إلا إتقاداً عندما عرف ان في الانق عشرين الف كورون .

كانت ماريسكا تشجعه :

ـــ اطلب يد اختي من بوتي .

ـــ كيف ؟ ... منها ؟ ...

ـــ نعم . إنها هي ربة الأسرة . ويولان مدينة لها هي ببائنة العشرين الف كورون .

شحب لون المعلم قليلاً .

ـــ نعم ؟

ـــ نعم . لماذا ؟

ـــ لان ... إيه ... هـــذا مربك قليلاً . إنهميني جيـــداً ، انني احترم الآنســـة أختك احترامـــاً كبيراً ... ولكن هوذا ... إن لـــي نفساً شـــديدة الحساسية ...

شزرت ماريسكا المعلم بنظرة باردة ، وقالت :

ـــ هذه كلها ترهات ! يولان فتاة طيبة ، وأنت رجل طيب ، وستكونان ، كلاكما ، سعيدين . ليس لك أن تسعى إلى أبعد من ذلك ، وكل لحظة تؤخـــر فيها سعادتك ...

غمغم المعلم بشيء ما ، ثم ادرك أن الحس السليم اساس النجاح ، فأرتدى ردنغوته ، الذي أطلق على طرازه اسم عاهلنا فرانسوا جوزيف الأول (١) المجيد ، وطلب يد يولان .

أوشكت بوتي ان تبكي فرحاً ، وباركتهما بعاطفة كعاطفة الأم تماماً .

كان الخطيبان سعيدين جداً . وكان المعلم يأتي كل يوم ليزور خطيبته . وكل يوم كان يقدم له طعام خفيف ممتاز ، ثم كان يدخن سيجارات وسجائر البارون . غير أنه ، كما كان يقول هو نفسه ، كان ذا نفس شديدة الحساسية .

---

(١) امبراطور الامبراطورية النمسوية ـــ المجرية .

كان يقول ليولان في كل مناسبة : ــ إنني لا أحب هذه الاشياء ، ولو كان هناك سبيل لرفض هذه البائنة ، لفعلت . . .

فكانت يولان تقول غاضبة : ــ لكن هذا من قبيل الجنون ! أن ترفض مبلغاً كهــذا !

ــ مع ذلك . . . انت تعرفين أن أختك فتاة ممتــازة ، لكن الشرف ، مع ذلك ، يتقدم على كل شيء .

قالت يولان باقتناع عميق : ــ دون أدنى ريب .

ــ وعندما نصبح زوجاً وزوجة . . .

ــ اجــل ؟

ــ لا تغضبي ، يا حبيبتي ، لكننا سنكف عن زيارتها . . .

قالت يولان طائعة : ــ كما تريد يا عزيزي .

ونظرت إلى خطيبها نظرة تنطق بالسعادة .

* * *

بنات توندرلاكي ، كمــا سبق أن قلت ، كن ثلاثاً . اثنتــان منهن كانتــا شريفتين ، والثالثة لم تكن كذلك .

* * *

أوجَاع أندريـه فوزنيسـنسكي

قصَائد وريبُورتاجات

ترجمة : ابراهيم الجرادي

* ولد أندريفتش فوزنيسنسكي في موسكو عام ١٩٣٣ •
* عضو أكاديمتي الفنون في بوسطن وباريس •
* يمارس الرسم وهندسة العمارة •
* ترجم كثيراً • ومن أهم ترجماته أعمال لروبرت لويل ومايكل انجلو •
* من مجموعاته الشعرية إضافة الى قصائده المرسومة : الكمثرى المثلثة• المبدعون • ظل الصوت • الزجاج الملون صناعة المبدع • قلب آخيل • طلقات في الجدار • نمنمات • خشب الفولونسيل السنديانى •••

* بدأ كتابة الشعر مبكراً ، وعلى يدي" بوريس باسترناك أكمل طريقه الشعري والحياتي • وفي أواخر الخمسينات ، حيث بدأ نشر قصائده ، أعلنت عن نفسها مرحلة" جديدة" في الشعر السوفيتي • كان فوزنيسنسكي أحد أركانها مع يفغيني يفتوشنكو ــ الذي سبقه الى النشر ــ ، بيلا احمدولينا ، بولات آكوجافا ، روبرت روجدستفنسكي ، وهؤلاء ــ رغم الخصوصية

الفردية ـ شكلوا اتجاهاً في شعر ما بعد الحرب ، حيث انضم لحركتهم فيما بعد كوزتتسوف ، ألجاس سليمانوف ، سالا وخين وغيرهم ، انهم بشكلٍ أو بآخر امتداد" شرعي للشعر السوفيتي في أوائل هذا القرن ، وذلك باستفادتهم من بدايات مايكوفسكي التجريبية ، ومن غنائية ماريا تسغيتايفا ، و « غموض » باسترناك وتراكيبه ، وأشعار كيرسانوف المرسومة ، وفي تنظيراتهم دعموا آرائهم باستنادات تتكىء على تجارب الشكلين الروس أمثال : تينانوف ، شكلوفسكي ، خليبنكوف ، جرمونسكي ... الخ والتي يؤكد النقد السوفيتي المعاصر بأنهم بدايات « المودرنيزم » في أوربا .

* أندريه فوزنيسنسكي يثير حفيظة النقد التقليدي بتصريحاته التي يؤكد فيها تأثيرات « المدارس الحديثة » عليه ، فقد ذكر أكثر من مرة اعجابه بالرسامين بيكاسو ، موديلياني ، شاغال . وبالمعماري كاربوزه ، والموسيقي بروكوفيف ، والسينمائي فيلليني ، ومن الكتاب بوليا سيلينجر . وجميعهم ، كما هو معروف ، ينتمون الى موجة « الحداثة » في الفن والأدب . إضافة لإعجابه بلوركا ، ايلوار ، وايتمان ، نيرودا ...

* يكتب الملحمة بشكلها التقليدي . ويكتب القصيدة ـ السطر . وفي مجموعته « ظل الصوت » نشر « قصائد للعين فقط » . ويحاول ، أيضاً ، في « البوب ـ آرت » وفي الكتابة التي تقرب الأنواع الأدبية ، وتؤكد التواصل بين الفنون . إنه يستفيد من كل الإتجاهات ويبقى خارجها .

* هذا الشاعر لا يُترجم ! وتأتي هذه الترجمة ، من وجهة التعريف به ، لأنني لا أستطيع تصوره شاعراً عظيماً خارج اللغة الروسية بتفردها ، وعمقها ،

وإيحائهــا الخاص ، إضافة الى أن فوزنيسنسكي يمارس الرسم ، ويوسـع قاموس اللغــة بالخروج عليه ، ولا ينسى كونه مهندساً معمارياً ! وكل هــذه الروافد نجدها بين دفتيّ كتاب شعري • ومن تجاربه الأخيرة ــ كما أشــار يفتوشنكو ــ محاولته نقل ايقاع الرقص الشعبي الروسي الى قصيدته ، كما يحاول نقل حركة الجاز الإيقاعية شعرياً ، وقد ذكر مرةً إنه « يكتب بقدميه » وأن « المغامرة أثمن ما يمكن أن يكون في الشاعر » •

* في بداياته قال : إن القضية ليست في الشكل ، هــذا لم يمنعه من أن يكون أكثر الشعراء السوفييت « غموضاً » وتجريباً ، وهذا ما يجعله ، أيضاً ، أحد شواغل النقد السوفييتي المعاصر قبولاً ورفضاً •

* * *

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الزنــوج يغنــون

نحن ــ تمتمات" هوميروسية
وعيون" مفجوعة
تتلوى كالدخان صعوداً ــ نحــن
أتتم ــ بيض" كالبرادات ، كالشاشِ الصحي الأبيضْ
دون حيــاةٍ أتتم ••
كالمــوتى أتتم ••
عمّ نغني لكــم يا محترمونَ
ويا ســادة ؟

عن أيديكم ، ذاك الشمع اليشبه جيراً أبيضَ
مطفـأ
عن أيديكم كيف انطبعت فوق ظهورٍ حزنى
عن نسوتنا الحزانى ، كيف احترقن بعارْ ـ
صارْ ـ صارْ !
« واخ ـ واخ ! »

* * *

ننتهكُ
كالفرس الناحل نضمرُ
تتسول سعر الشاي ، وفي الحلباتِ
وفي الأسواقِ

نحملُ في أعيننا العتمةَ
لكـنْ ..
حين تنـام الليل يشع الضوء من الأكتافْ
كالنجم يشع على الشباكْ

فينـا ،
فيمن صارعَ
فيمن لاكمْ
كالشبوط بجوف البركةِ ،
كالرادارَ الأسودِ

يُعكس فينا مــدار النجم •
أبهةً يُعكس ، حــزناً
« مدار الدب » و « مارس » فينا •

* * *

نحن زنوجٌ ــ نحن شعراءْ
فينا يرقص هــذا الكونْ
نرقدُ •• نرقدُ كالأكياس
ملأى بالنجم وبالأسطوره ••

* * *

عندما نُضربُ بالأقــدام
تُرفس السماء •
لأن تحت هــذه الجزم
يضج كوننا العلوي •

مــوت بازوليني

لقد أغرقوا بازوليني بالكلور المميت
كما أغرقوا ، من قبل ، لوركا •

هناك علامةٌ واحــدةٌ

تلك التي تأكيدها لم يزل صحيحاً :
المقتولون ــ الشعراء •
القاتلون ــ الفاشـــية •
إلا أن الحضارة الشعرية
لم تزل تعيش في المخيمات

لكنْ •• إذ لم يقتلوا الشعراء
هذا يعني أنْ لا أحداً يقتلون •

❋ ❋ ❋

الإنسحابـات (١)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مريض" أنا • أعيش قرب البحر
ما من « أمريكا » • يا للسخرية !
أعيش سعيداً ، أســيراً
بالإنسحابات الوقحة ،
إلا أن « موزا » [٢] تحرك لي الشاي
تساعد وتعوق
تنتظر عضو هيئة التحرير[٣] كوسولابوف •••

---

(١) القصيدة ، في الأصل ، بلا عنوان . « م »
(٢) ربة الإلهـام . « م »
(٣) ناقد سوفييتي معروف ، عضو هيئة تحرير اكثر من مجلة ادبية .

مُلطخاً الشاطىء بالبقع ،
بحري يتراجعْ
يعري نفسه ،
وعشب المــاء ،
والرمل ،
وبعدها يعــود للشاطىء
يغلي كمدحلةِ الإسفلت !

* * *

ســتريتيز

بهبلٍ ..
تتعرى في الوصلة راقصةٌ
أنــا أبكي ؟ ..
أم أن عيون البراجكتور عيناي ؟
وشاحٌ ينتزعُ
شــال ينتزعُ
ينتزعُ الزخرف
تنتزع كما القشر عن الليمونْ .
الحــزنُ غريبٌ في العينين ،
غريبٌ كالشوق بعين الطيرْ .

هذا الرقص يسمى « ستربتيز » •
رقصٌ مرعبٌ •
صلعاتٌ •• تصفيرٌ في البار ،
وعيون المخمورين احمرت كالعَلَقاتْ •
هذا الأشقر يبدو كالمضروب بمحِ البيض ،
يتبعها بالرأس اليشبه مطرقة آلية •

وذاك وحيدٌ كالبقه ،
مصابٌ بالسكتة والرعبْ •
والساكسيفون يعوي « بسفر الرؤيا » (١)
ألعن مقياسك يا دنيـا
ألعن اشراقك ، يا مارس ، فوق الجسر
ألعن مبهوراً
هيمانـاً
فالمرأة كالمطر ــ الندف
ترقص تحت الجاز •

« هل أنت أمريكا ؟ » ــ أسألها كالأبلهِ •
جالسةٌ
لا تنطق ، وتلف السيجاره •

---

(١) من الكتب الكنائسية المسيحية التي تتحدث عن نهاية العالم . «المترجم»

والولد اليافع يصرخ : آخٍ ، غريب اللكنة يا ...
أحجز لي مارتيني و « الأبسنت » [1] .

* * *

الذكـرى

الذكرى ــ إنها ذئاب" في برية
تركض ، ترسل النظرات ــ
كالسباحين في سباقٍ مجنونٍ
عندما يتلفتون الى الخلف !

* * *

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حـــلم

والتقينا مـــرةً أخرى
وشالتنا النواقـــل .
لقـــد تحايبنا طويلاً . إلا أنك لم تتعرفي عليَّ !
طالمـــا اصطحبتِني الى البيت
أحببتِ

---

(١) من مظاهر الإحتجاج في دول الغرب ، وتتلخص في الابتعاد عن المشاركة في الانتخابات ، وحضور الاجتماعات العامة .. الخ . « م » .

وأعطيتِ الحبَ •
لقــد عشنا معــاً زمناً
ولكنكِ لم تعرفيني •

* * *

٩٠ ٪

في الجسم البشري الحي ٩٠٪ ماء
كما في « باغانيني » ، لا ريب ،
٩٠٪ حب •
حتى لو أن الحشد ـ وكاستثناء ـ داسَكَ ،
فإن في الغــاية البشرية ٩٠٪ خــير •
٩٠٪ موســيقا ،
حتى لو كانت مصيبة ،
هكذا فيَّ ،
وبغض النظر عن الأوساخ ٩٠٪ أنت

* * *

●

أنــا ـ عائله
فيَّ كما في الطيف

● القصيدة ، في الأصل ، بلا عنوان .

تعيش سبع « أنا »
سبع « أنا » بغيضة" كسبعة وحوش°
والأزرق القاتم بينهن
ينفخ في المزمار !
لقد حلمت ذات صيف
بأنني ــ الثامن° •

لا تغــب

لا تغب لألف عــام ،
لا تغب حتى ولو لنصف ساعة ••
ستعود ، أنت ، بعد ألف عــام
ولا تزال في اشتعالٍ شمعتك •

لا تغب غضباً أو فجــأةً •

سيغيب الجميع •
أنت الوحيد لن تكون من عدادهم •
ولتكن من بينهم استثناء ،
لا تغب •

ولن تغيب فينا ساعاتنا النجمية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ستظل ، الى الأبد ، هناك حيث تحملنا الطـائرة وحيدين
نحلـقُ ،
نحلـقُ ،
ونظل نحلـقُ ،
مربوطين بحزامٍ واحـدٍ ـ
وخارج الزمن

وأنت تغفو على كتفي
وكالنـار ،
تشع ـ خفيفاً ـ راحة يدك ، راحة يدك ...

لا تغب من حيـاتي
لا تغب فجـأةً أو غضباً .

هناك آلاف المصابيح
وفي كلِ مصباحٍ آلاف الشموع
إلا أنني بحاجةٍ لشمعتك أنت .

لا تغب عنا أيهـا النقـاء
لا تغب حتى ولو اقتربت النهـاية
لأنني لن أسمح لك بالغياب حتى لو غبت أنا ،
ورغم كل شـيء
لا تغب .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

● قريــة في براتسك .

البيوت الجصية ، ذات الطراز الواحد ، في قرى البنائين ، تبنى هكذا : من اليسار ــ جدار" من الفخــار ، من اليمين ــ حاجز" من القش ، والفراغ الذي بينهما يردم بالخَبَثِ ونفايا البنــاء ..

البعض يبني قصائده هكذا :

من اليسار ــ جــدار" من حروف التاج ، من اليمين ــ قوافٍ ، أمــا ما بينهما ــ فالله أعــلم بما سيردم !

إنهم بذلك يتناسون ، أن الرائع في مزايا فــن العمارة ــ هو الرخص ، أما النمطية فليست ، ولا بأي حــالٍ من الأحوال ، ميزة إيجابية في الشعر .

* * *

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

● من الظــائرة .

الغيمة الصغيرة تبدو من الأعلى كقبة المظلة ، عندما يتساقط منها المطر . حسب القانون المنظوري ، الخطوط المطرية ستضيق من الأسفل ، تماماً كحبال المظلة المشعة ، هذا الوهم تؤكده القرية الصغيرة التي تترنح تحتها .

* * *

● ● ●

ما المهم عندي في الشعر ؟ إنه النظر في نفس الإنسان ، فيّ ، في « داخل » الوعي . لأن القضية ليست في الشكل .

الشكل يجب أن يكون واضحاً ، قلقاً بدون حدود ، مفعماً معنىً عالياً كالسماء التي لا يحدد فيها وجود الطائرة غير الرادار •

* * *

● نحو نهر ينسيه

في الصيف يعمل سفاناً ، وفي الشتاء مطارد كلاب ، إنه دون ــ جوان لا يضاهى • كان يقوم بتنظيف صدارته ويحدث ، عن تلك المعلمة الشابة التي أخذها معه الى الشمال •

« وداهمتنا عاصفة" ثلجية" • مفهوم ؟ والعاصفة الثلجية تعني أن تندس في كيس النوم •• تدفن نفسك فيه ، وتنتظر • والكيس كان واحداً لنا الاثنين • مفهوم ؟ وهكذا ، ثلاث ليالٍ ونحن ننتظر ••• » •

القهقهة غطت كلماته •

ونحن ــ أواه ، كم تفهم ماذا تعني هذه الـ « تنتظر » ••• أما هو فقد أخذ يتلفت مدهوشاً :

« ماذا حل بكم ؟ لقد سقطنا من السفينة ؟ لم أمسسها ، لأننا وقعنا في مصيبةٍ » • ويستمر طويلاً ، يشتم بفظاظةٍ ، وبعد ذلك يسرع الى السطح ، يستمع الى القمر •

ما هذا إلا لشعر !

* * *

● ● ●

فن العمارة ــ إنــه حديث مع الآتين •

قصر الكرملين الجــديد يدهش ، لأنــه تصاهر مــع الأبراج بشبابه ، وتباينه ، بالرذاذ العمودي المتساقط على الزجــاج والدعائم ، إنه رمزي" •

أفضل التقاليد ــ التجديد :

مايكوفسكي مــع حديثينا أقرب الى بوشكين من مئات الذين يتأتئون بـ « اليامب » [1] • بيكاسو يكمل « تيتسان » و « ربلوف » •

أظن ، أن من الواجب علينا أن نفحص كل فنانٍ بالضوء الثاقب لهــذا البناء ، تماماً ، كما يُفحص بجهاز روتنجن •

واللوحات ؟ هنا ، لا تستطيع تعليق « لاكتيونوف »[2] و « باجتات »[3] التجار ، والقصائد ؟ ولكن •• هــل بإمكان كل القصائد الدوي" بين هــذه التشكيلات الألمنيومية الصارمة ؟

* * *

---

(١) من أوزان الشعر الروسي التقليدية . «م»

(٢) « فنان » روسي مبتذل . «م»

(٣) لوحات خشبية مخرمة، رخيصة . يعلقها التجار في بيوتهم كزينة. «م»

(٤) كاتب مسرحي وممثل ، ايطالي الهوية ولد ١٩٠٠ ، من مسرحياته : « ولادة في منزل السيد كوبيلو » ١٩٣١ . « هــذه الأشباح » . « الاسطوانة » ١٩٦٦ وغــيرها . « م »

● إدوار دي فيليبو

كان وجهــه يشبه أبنية بدايات عصر النهضة الشامخة ، والمتحللة بتأثير الهــواء • عندما كنا نتحدث عــن مسرح « سوفريمينيك » ، عن همنغواي وبازوليني انزلقت ، وفجــاءة ، على شفتيه الفظتين ــ وكأنما قدا من طَفٍ ــ ابتسامة غريبــة الإحتشام •

ــ كان من المفروض أن أعــود أدراجي ، لأنني مرتبط" بجولاتٍ فنيةٍ • لكنني أريد أن ألتقي عيد أول أيــار في موسكو •

ابتسمت له • كانت ابتسامات لا توصف •

وقتها كنا في مرسم أحــد الفنانين الموسكوفيين ، حيث كانت تطل علينا من على الجدران ، صور مخطوطات « نوفوغورد » القــرن الحادي عشر ، والتي كانت منسجمة ، وبصورةٍ غريبةٍ ، مع أثاث الغرفة الحديث ، وأصوات العجلات خلف النافــذة •

خرجت الى الشرفة • المدينة نامت • وفي البيت المقابل كانت النوافــذ مطفئة • ضوء جوبيتر القــوي ، المنسرب خلل أبواب الشرفــة كان يضربني في ظهــري •

ظلي الكبير ، والممتد بمغــالاة ، كان يرقد على جدار البيت المقــابل ، كما لو أنه شاشة عرض ، يغطي ويوحــد معه عشرات النوافذ وقد تحكمت فيها ، وخلف حواجزها وفتحاتها الأقــدار •

الناس عاشــوا • ناموا • أحنوا رؤوسهم ليتعانقوا ، فكروا بأشــياء ما تخصهم • عند البعض كانت النوافذ مفتوحة • الظل زحف إليهــا كرائحة التبــغ الليلية والليلك • كنت أرقب باهتمامٍ وقلق هــذا الكائن الضبابي الهــائل ، المنفصل عني ، والذي وقعت تحت ملكوته الأشعث مئات المصائر •

« والفن أليس هــو كذلك ، أم لا ؟ ــ فكرت ــ إنه ، أيضاً ، يوحــد النــاس » في الأسفل ، كانت موسكو تبحــر • كانت تتنفس وهي تتوارى في الضباب •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صدر حديثاً

عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق

التأسيس

مقالات في المسرح السوري

دراسة عبد الله ابو هيف

إيثـــلين

قصة : جيمس جويس　　ترجمة : محمد أبوخضور

جلست على النافذة تراقب المساء وهو يغزو الطريق • كأن رأسها منحنياً على ستائر النافذة ورائحة القماش المترب تملأ منخريها •

كانت تعبـــة •

مر عدد قليل من الناس • ومر الرجل القاطن في آخر منزل وهو في طريق عودته الى البيت • انها تسمع وقع أقدامه وهي تصفع الرصيف الاسمنتي ومن ثم وهي تقرع الممر الضيق أمام المنزل الأحمر الجديد •

هذا البيت التي اعتادت وهي طفلة أن تلعب فيه مع أطفال الناس الآخرين• ثم جـاء رجل من بلفاست وابتاع الأرض وبنى عليها بيوتاً سقوفها كسقوف بيتها ، أو سقوف بيوت الجيران ، سقوف صغيرة سمراء اللون • كانت البيوت الجديدة لامعة الحجارة مشرقة السقوف •

لقد اعتاد الأطفال أن يلعبوا في تلك الأرض سوية ، أولاد ريفز ، واترز ، دونز ، والصغير كوف كان يحبو • وكانت واخوتها وشقيقاتها يلعبون ، غـير

أن أخاها ارنست لم يكن يلعب معهم قط لأنه كان كبيراً • واعتاد والدها مراراً أن يطردهم من ساحة اللعب بعصاه السوداء الشائكة ، ولكن الصغير كيوغ اعتاد أن يحذرهم صارخاً عندما يرى والدها قادماً • ويبدو لها الآن أنهم ربما كانوا أكثر سعادة ، ذلك أن والدها لم يكن سيئاً جداً حينذاك ، اضافة الى أن أمها كانت على قيد الحياة • لقد مضى زمن طويل على تلك الأحداث وها هي ذي واخوتها وشقيقاتها قد كبروا وماتت أمها • تيزي دون ماتت أيضاً ، وعائلة واترز عادت الى انكلترا • كل شيء تبدل • وهي الآن تنوي الرحيل كالآخرين ، تنوي مغادرة منزلها •

المنزل ! وتطلعت حولها في الغرفة ، ومسحت بنظرها كل أشيائها المألوفة التي طالها الغبار خلال أسبوع وتبدو الآن وكأنها مهملة منذ سنين عديدة • وتعجبت من أين يأتي كل هذا الغبار ومن أية بقعة من الأرض • ومن المحتمل أنها لن ترى أبداً هذه الأغراض المألوفة والتي ما كانت تحلم بمفارقتها • وعلى الرغم من مرور تلك السنوات الطويلة فانها لم تعثر على اسم الكاهن الذي تتدلى صورته الصفراء فوق الأرغن المكسور بجانب الادعية المطبوعة والملونة ارضاء للقديسة مرغريت ماري آلاكوكيو •

لقد كان زميل مدرسة لوالدها • وعندما كان والدها يري الصورة للزائر اعتاد أن يمر من أمامها وهو يقول بلا مبالاة :

ـ انه في ملبورن الآن •

لقد صممت على المضي بعيداً • أن تغادر منزلها •

هــل ذلك القــرار حكيم ؟ لقــد حاولت أن تزن كل جانب من هــذا السؤال • انهــا في بيتها ، وبأية حال تجــد الملجأ والطعام ، كما انها تجــد بجانبها كل أولئك الذين عرفتهم طوال حياتها • من الطبيعي أنها بذلت جهــداً كبيراً سواء في البيت أو في العمل • وما عساهم يقولون عنها في المخازن عندما يكتشفون أنها فرت مع رجل ؟ هل يقولون أنها حمقاء ، ربما ، وسيملىء مكانها عبر الاعلانات • وسوف تكون الآنسة غافان سعيدة • فقد كانت دائماً تضع حاجزاً بينهما وخاصة عندما كان يوجد أناس يستمعون لحديثهما •

ــ آنسة هــل ألا ترين هــؤلاء السيدات المنتظرات ؟

ــ كــوني نشيطة ، آنسة ، هــل ، رجــاء •

انها لن تذرف دموعاً كثيرة بسبب فراقها للمخزن • ولكنها في منزلهــا الجديد وفي بلد بعيد غير معروفة فيه فانها لن تكون كما كانت • وعندئذ فانها سوف تتزوج • هي ايفلين • وسوف يعاملها الناس بعدئذٍ باحترام • لــن تعامل كما عوملت أمها • ولو أنهــا الآن بلغت التاسعة عشرة من عمرها • انها تشعر أحياناً أنها في خطر بسبب عنف والدها • وعرفت أن هذا الخوف هــو سبب بلبلتها ، عندما كانت واخوتها أطفالاً صغاراً لم يكن أبوها متيماً بهــا كما كان عادة مع شقيقيها هاري وأرنست • لأنها كانت فتاة • ولكنه في المــدة الأخيرة بدأ يهددها ويقول لها أن ما يفعله لها هو من أجل أمها المتوفاة • والآن فإنه لا يوجد أي انسان يحميها • فلقد توفي أرنست ، وهاري الذي كان يشتغل بزخرفة الكنيسة دائماً وبشكل تقريبي متغيب في مكان ما في البــلد • أضف

الى ذلك المشاحنات من أجـل النقود في ليالي السبت ، تلك المشاحنات التي ترهقها بصورة لا تطـاق •

انها تقـدم دائماً أجورها كاملة (سبع شلنات) وهاري يرسل ما يقـدر ولكن المشكلة كانت مشكلة تحصيل أي مبلـغ من النقود من والدها الذي كان يقول انها تصرف النقود ، وأنها بلا دماغ وأنه لن يعطيها ما يحصله بصعوبة ليرمى في الطرقات ، ويقول أكثر من ذلك ، فقـد اعتاد أن يكون سيئاً ليـلة السبت • ولكنه في النهاية يعطيها النقود ويسألها عما اذا كانت تنوي شـراء غـداء يوم الأحـد •

وكانت تنطلق مندفعة بأقصى ما تستطيع من السرعة من أجل التسوق • قابضة بشدة على كيسها الجلدي الأسود وهي تشق طريقها وسط الزحـام وتعود الى المنزل في وقت متأخر وهي تنوء بحمل مشترياتها ، انها تعمل بجهد كبـير من أجل الابقاء على البيت متماسكاً ومن أجل أن ترى الطفلين الصغيرين اللذين تركا بعهدتهـا وهما يذهبان الى المدرسة باتتظـام وينالان وجباتهما باتتظام • لقـد كان عملاً شاقاً • ، حياة شاقة • ولكنها الآن وهي على وشـك الرحيل لم تعد تشعر بأنها حيـاة غير مرغوب فيها البتة •

انها توشك أن تبدأ حياة جديدة مع فرانك • وهو رجل بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى • لطيف وشهم وصادق • وقد قررت الفرار معـه على السفينة الراحلة ليلاً لتكون زوجته وتعيش معه في بونيس آيرس حيث بيته هناك بانتظارها • انها تتذكر جيداً لقاءها معـه للمرة الاولى ، كان مستأجراً في بيت على الشارع الرئيسي وكانت تتردد على ساكني ذلك البيت • يبـدو

الأمر الآن وكأنه حدث منذ أسابيع قليلة • كان واقفا على الباب الرئيسي وقبعته مرفوعة الى الخلف وشعره تهدل على جبينه الأسمر حينذاك تعارفا ، وتعود أن يراها خارج المخازن كل مساء فيرافقها الى منزلها • ومرة ذهبت معه الى المسرح لمشاهدة « الفتاة البوهيمية » وشعرت بالزهو لأنها تجلس معه في مكان غير عادي • كان مغرماً بالموسيقى وقد غنى لها •

وعرف الناس أنهما يحبان أحدهما الآخر • وعندما غنى عن الفتاة التي تحب بحّاراً شعرت بارتباك لذيذ في بادىء الأمر •

كان شيئاً مثيراً أن يكون لها صديق ، ثم بدأت تميل اليه ، ثم أخذ يحكي لها بعض الحكايا عن الأقطار البعيدة وكيف بدأ حياته كطفل يعمل بأجرة ليرة واحدة في الشهر على ظهر سفينة تسافر الى كندا • وردد أمامها اسم السفن ، وحكى لها عن جميع الأعمال التي عمل بها في تلك السفن ، وكيف مر من مضيق ماجلان • وكانت لديه قصص مخيفة عن الأناس الذين شاهدهم • وحكى لها عن مرضه في بونيس آيرس وكيف جاء في اجازة الى وطنه الأم • ولقد عرف والدها بما بينهما فحرّم عليها محادثته وقال لها ذات مرة :

« أنا أعرف هؤلاء الصبية • البحارة » •

وتشاجر مع فرانك ولكنها استمرت في مقابلته سراً •

خيم المساء على المنطقة • في حجرها رسالتان احداهما لهاري والثانية لوالدها • كان ايرنست أخاها الأكبر ولكنها تحب هاري أيضا • لقد لاحظت

في الفترة الأخيرة أن والدها بدأ يهـــرم وأنه سوف يفتقدها • وكان عليه أن يكون لطيفا جـــدآمعها • وقد حدث هذا فعلاً ولكن ليس قبل مدة طويلة • وعندما مرضت يوماً قرأ لهـــا قصة عن الاشباح وحمّر لها بعض الخبز عـــلى النار ، ومرة قبل وفاة والدتهم قاموا بنزهة الى (تل هون) ومن أجل اضحاكهم كان والدهـــا يعتمر قبعـــة أمهم •

كان الوقت يمر سريعاً وهي جالسة على النافذة وقد أمالت رأسها على الستائر لتشم رائحة القماش المترب فسمعت صوت أرغن في الطريق • انهـــا تعرف ذلك النغم • عجيب أن تسمع هـــذا النغم في هـــذا المساء بالذات • هـــذا النغم أخذ يذكّرها بالعهد الذي قطعته لأمها بأن تعمـــل ما في امكانها لتحفظ للبيت تماسكه • وتذكرت الليلة الأخيرة من مرض أمها • كانت الغرفة مظلمة وفي الجانب الثاني من الردهة عندما سمعت لحناً ايطالياً حزيناً • وأعطوا العازف على الأرغن ستة بنسات من أجـــل أن يكف عن العزف والابتعـــاد • وتذكرت والدها عندما عاد ثملاً ودخل الى غرفة أمهاالمريضة وهـــو يقـــول :

« الايطاليون الملعونون • لقد عـــادوا الى هنـــا » •

وغرقت في بحر من التفكير وصورة أمها ، ذلك الطيف المسكين الجاثم في صميمها • صورة مليئـــة بالتضحيات العادية التي ملأت حيـــاة أمهـــا •• وتذكرت صوت أمها الذي كان يلحّ عليهـــا بجنون •

وقفت بدافع مفاجيء من الخوف • هـــل تهرب ؟ يجب أن تهـــرب • سينقذها فرانك • وربما سيمنحها حيـــاة مليئة بالحب • فلماذا كتب عليهـــا الشقاء ؟ انها تملك الحـــق بالسعادة • سيأخذها فرانك بين ذراعيه ، سيطويها

بين ذراعيه وسوف ينقذها • وقفت بين الجموع المحتشدة في محطة (نورث هول) أمسك بيدها ، وأدركت أنه يتحدث اليها حول سفرهما • كانت المحطة ملأى بالجنود الذين يحملون حقائبهم المعتمة ، ومن خـلال أبواب السفينة استطاعت أن تلمح صاري السفينة السوداء الراسية قرب جدار الميناء بنوافذها الصغيرة والمضيئة • لم تجب بشيء وشعرب أن خديها شاحبان وباردان وفي حيرة يائسة صلت لله كي يهديها ويأخذ بيدها الى ما يجب أن تفعل •

وبعد قليل صفّرت السفينة صفرة طويلة كنواح في الضباب • وأخذت تراودها بعض الأفكار • إن هي ذهبت فستكون غـداً في البحر مـع فرانك متوجهة الى بيونس ايرس لأنه قطع تذكرة لهما • أيمكن أن تنسحب بعـد كل الذي عمله من أجلها ؟ وشعرت بالغثيان وهي تحرك شفتيها بصلاة حارة •

وكأن ناقوساً بدأ يرن في قلبها حين أحست به ممسكاً بيديها : تعالي ! كل بحور الدنيا ماجت حول عنقها • كان يسحبها الى تلك البحار • لسوف يغرقهـا • وأمسكت بيديها وبكل ما فيهما من قوة بسور حديدي •

ـ« تعـالي ! »

لا • لا • انـه المستحيل • وأمسكت بسور السياج الحديدي بجنون وهي تطلق صرخة ألم واضحة •

ـ ايفلين ! ايفلين !

وأمسك بها ودعاها للحاق به •• وصرخوا به أن يصعد • استمر يناديها ولكنها واجهته بوجه شاحب ، جامد ، كحيوان مغلوب على أمره ، وعيناهـا لا تعبران عن حب له ، أو وداع ، أو حتى معرفـة •

الأرملة

• قصة : أرفيند جوكيل
• ترجمة : صالح سلمان

«ارفيند جوكيل » واحد من رواد القصة الحديثة الصغيرة المارتاوية (١) ظل يكتب لمدة من الزمن تتجاوز العقد حيث نشر اثناء هذه الفترة الزمنية اثنتاعشرة مجموعة من قصصه القصيرة . وهو كاتب واقعي له قدرة على وصف الظلال الدقيقة للوجدان . وبحكم وظيفته كعالم نباتي فقد درس جوكيل الصحافة التقنية في جامعة وسكنس في الولايات المتحدة الأمريكية . انه يمتلك ايمانا كبيرا بالقصة القصيرة ويسيطر على عالم كبير من القراء .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تماماً كشجرة هرمة تطلع أحياناً الجديد من الأوراق الفضة ، كان عقل (إيرواتي) المخدر قد بدأ يصحو من ذهوله . وكان يتضح لها ادراك بطيء هو أن من الخطأ أن تمنح نفسها للندب طيلة الوقت، وأن تطوف في وضع جسماني غير مقبول . ليس هناك من فائدة في نكران حقيقة أن الجراح التي تركتها مأساتها الجليلة سوف لن تشفى أبداً بشكل تام . لقد تحولت أحلامها الفتية الى حطام . غير أن عقلها الذي صحا مؤخرا أخذ يتحدى حكمة الحياة بحالة متواصلة من الاستسلام . هل كان من الضروري أن ترتدي ثياب اللامبالاة والحزن السوداء طيلة الوقت ؟ ما الذي سيحققه ذلك ؟ لقد أراد جناحاها الجريحان أن يطيرا من جديد .

---

(١) منسوبة الى الشعب الهندي الذي يسكن في الركن الغربي واقليم بومباي .

ما بدأت تراه إيرواتي مؤخرا فقط كانت قد تحققت منه عمتها منـــذ زمن طويل . لقد تيتمت ايرواتي في سن مبكرة ومنذئذ وعمتها تحاول أن تعوض فقدانها لحب والديها . كان ذلك منذ سنتين فقط عندما بدأت إيرواتي وظيفتها كطبيبـــة وكانت حقاً على طريق النجاح خلال تلك الفترة . فعندما كانت في الكلّية قدمت إيرواتي قلبها هدية لـ « اڤيناش » زميل الدراسة . كان اڤيناش ينحدر من عائلة فقيرة لكنه قرر أن يصبـــح طبيباً . وبسبب تلك الغايـــة عرض نفسه لبعض انديون .

تعاهد الاثنان على الزواج بعد انهاء الدراسة . ورغم انـــه لم يقـــدم الفتاة لعائلته ، فان اڤيناش لم يكن يتوقع اية معارضة جدية على الزواج . لكن عندما جاءت المعارضة فقد كانت من جهة غير متوقعة مطلقاً . من سلطة لا يمكن أن يحرز نصر ضدها . كان اڤيناش يمضي سنته الاخيرة في الكلية عندما حدثت المأساة . ان حادثاً أوقف جسده الفتي الى الأبد .

بعد موت اڤيناش عاشت ايرواتي بالجسد فقط اما روحها فقد تناثرت إرباً . لقد كان جزء حيوي من الفتاة قد تناثر رمادا على المحرقة الجنائزية لزوج المستقبل . لم تكن تقبل أحاسيسها المنصعقة بعد ذلك اية مثيرات . عاشت مستقلة ومنفصلة عن الآخرين كأرملة تؤدي واجباتها فقط . وقد أصبح هـــذا مصدراً دائماً للحزن بالنسبة الى عمتها العجوز . فهي لم تطر ذلك بالموافقة . وعمتها نفسها كانت قد ترملت عندما كانت فتية جداً ولكنها تحملت ذلك بشجاعة طيلة هذه السنوات !

لم تكن ايرواتي قد تزوجت من اڤيناش ! انها فتية ينتظرها مستقبل باهـــر بذراعين مرحبتين . كانت عمتها تتطلع بأمل الى ذلك اليوم الذي ستتخلى فيه

ابنة اخيها عن حياتها كراهبة وتبدأ في حب الحياة كما يجب أن يفعل الناشئة في الواقع .

ربما استجابة لصلوات السيدة العجوز ، أو بسبب الزمن الشافي اصبحت أبرواتي مؤخرا تذرف في أغلب الأحيان دموعاً اقل مما كانت تفعل في الماضي . إن هذا لا يعني أنها نسيت أڤيناش . فقد قابلته تحت مظلية(٢) قبل الحادث بيوم واحد فقط . وكسائر العشاق تحدثا وخططا لمستقبلهما . كانت تحمل ضمن طيات ثوبها شذى العطر الذي صبه أڤيناش بأدب عليها في مناسبة سابقة . وثتها ضمها بذراعيه مستنشقاً العطر مرة بعد مرة . ثم افترقا بعد ذلك على أن يلتقيا في اليوم التالي . ان ذكرى ذلك اليوم تملأ الآن إيرواتي بحماسة مفعمة بالنشاط كما لو كان الغد الذي ستقابل فيه عشيقها مرة ثانية مايزال آتياً .

وفي أوقات أخرى كانت تحس أن ذلك الزمن سافر الى مسافة بعيدة بعد الحادث المأسوي . انها ستفقد احتكاكها بالماضي وستحدق في صورة أڤيناش بدون اية عاطفة ايجابية . لقد أرعبتها حالة عقلها الغريبة واللامبالية . فهي لذلك سوف تزج نفسها في العمل على نحو أعمق .

ان مهنتها ومتطلبات المجتمع اذاً لا تسمح لها بالبقاء في تلك الحالة مدة طويلة . فقد أجبرت على الإهتمام بالحياة عندما قدم لها مريض مقر بالجميل سلة من الفاكهة أو تطلبت حالتها هذه رفاهية مادية معينة لتناسب مركزها بسبب الازدياد المستمر لزبائنها ــ مثلاً طقم شاي جديد . فمنزلها الحالي بدا صغيراً جداً بالنسبة الى حاجياتها في ذلك الحين . وكانت عمتها تعترض بقوة

---

(٢) المظلية ، المغنولية المظلية نوع من النبات كبير كالشجر (المورد) .

على تنقلها بالجزكشة(٣) وخاصة في الدعوات الليلية . كان يجب أن نشتري سيارة في الحال وكان من الممكن أن تفعل ذلك خلال سنوات قليلة .

غير أن ايرواتي كانت تشعر بالإجرام كلما حاولت أن تهتم بالحياة إهتماماً مفعماً بالنشاط . هل نسيت اڤيناش ؟ هل اصبحت خائنة لذكراه ؟ هل هي ذات عقل متقلب ؟ هل كان من الخطأ أن تهتم بالحياة وقد قضى نحبه ؟ كانت ايرواتي تصبح سيئة الطبع ، حتى تجاه زملائها ، كلها هاجمتها هذه الأفكار وكانت تستشير عمتها حين لا يمكنها أن تتجنب الدعوة الاجتماعية .

« عمتي ، اتظنين انه يجب ان اقوم بوظيفة او واجب هـذا المساء ؟ » وتسرع عمتها لتؤكد لها : « لماذا ، بالطبع ايتها الطفلة . لماذا يجب أن تفكري بأية شكوك سخيفة ؟ في الواقع سيكون من الخطأ إن لم تذهبي . ويجب عليك أن ترتدي ثوباً افضل . فهذا قد لا يلائم المناسبة . »

لقد طمأنتها كلمات عمتها المشجعة فاستبدلت ثوبها بآخر لاجـل المناسبة الخاصة . وكانت ذات مرة خارج البيت فلم تجد متسعاً من الوقت لتكرم وفادة مزيد من الشكوك . إن حديثاً قصيراً مع امراة كانت قد ولّدتها منذ وقت مضى وحديثاً مع زميل لها شغلاها فعادت الى المنزل والفرحة تغمر قلبها . غير أن شكاً حديث المهد طفق بها عندما عادت الى غرفتها ذات مرة . وفطنت ذات يوم على نحو مفاجيء أن من الحماقة أن تحيا حياة محزنة .

« يجب أن يذكر اڤيناش بابتسامة وليس بدمعة . » قالت لنفسها . إن نفحة من العطر المألوف فاجأت ذاكرة إيرواتي بعنف عندما فتحت حقيبة ملابسها

---

(٣) الجزكشة : كلمة يابانية تعني عربة صغيرة بدولابين تتسع لشخص واحد عادة ويجرها رجل واحد ــ تستعمل بكثرة في اليابان . (المورد)

فدست كفها بين كومة الملابس واخرجت قارورة من الجون(٤) .

كان اثيناش مغرماً جدا بالعطور ، لكنه لم يتمكن من شراء رزمة من عيدان البخور ولا مجموعة من الازهار . ذلك هو السبب الذي جعلها تقدم اليه زجاجة من الجون . لقد افرغ محتويات القارورة كلها على ثوبها فكان العبير الدائم لهذا العطر بالذات الذي صبه بتوق ما بعدهتوق فيذلك النهار من لقائهما الاخير . وضعت القارورة الفارغة في حقيبة يدها بطريقة غير واعية والتي تحولت بعد موت اثيناش الى ممتلك نفيس ، فحفظتها ايرواتي تحت طيات الملابس برفق وعناية . حملت ايرواتي بحنان القارورة الفارغة بيدها ثانية وقد اعادتها الذاكرة الى ذراعي عشيقها الميت فأطبقت عينيها وابتسمت بارتياح . شعرت بالبهجة فنهضت فجأة لتعيد القارورة الى طيات الثوب وتستبدل ثوبها بآخر جديد . التقطت حقيبة يدها وغادرت البيت وهي تصرخ : « عمتي إنني ذاهبة » .

كان قلب ايرواتي التي خطت الى داخل الجزكشة خلياً وسعيداً جداً . فمن واجبها ان تلبي دعوات مهنية قليلة ولكنها قررت أن تفعل ذلك فيما بعد . لم تشعر منذ وفاة اثيناش مرة على الاقل بمثل ما تحس به اليوم من امل وفرح يغمران قلبها . فقد شاهدت انعكاس مزاجها السعيد في الإنسانية التي تنشط من حولها .

ولاول مرة بعد عامين تفتح عينيها على العالم من حولها . إن صف النوافذ المعروضة للعيان بتأنق مفرط جذب اهتمامها . الشوارع النابضة بالحياة اثارتها . كما ان منظراً لعدد من النساء الحاملات ارضى عقلها المهني .

ترجلت من الجزكشة بحركة مفاجئة ولحقت بالحشد . ارادت ان تشتري

---

(٤) الجون : نوع من العطور .

كل شيء لكنها سيطرت على رغبتها بصعوبة . وقرب سوق النجارة انعطفت نحو اليسار حيث وقعت عيناها على شيء ما حولها الى تمثال . كان ذلك شكل رجل عجوز تغطي جسده المعروق كتلة من التجاعيد وذقنه لحية غير مكترثة بالنمو . أما ثيابه الممزقة فقد رقعت في أكثر من مكان . وبيد معروقة تعوزها نبضـــة الحياة كان يحمل باقة من خضر كثيرة الأوراق ويسير بخطوات متعثرة . لقـــد عرفت إرواتي الرجل . كان والد اڤيناش ! وكان حماها . لم ير الرجل الصدمة والألم على وجه إيرواتي ، حتى ولو انه فعل فلم يكن ذلك يمثل اي شيء بالنسبة اليه على الإطلاق لأنه لم يسبق له أن قابلها ، وحتى هي لم تكن تعرفه إلا بالنظر .

شخصت عيناها إليه وتبعتاه حتى اختفى من مجاليهما . بعد ذلك عادت الى وعيهـــا ببطء . غير أن قدميها لم يحســـا بالإستقرار على الأرض . دخلت الحانوت الأكثر قرباً ولكن من غير أن تنظر إلى الخلف مرة ثانية كما لو كانت تتوقع أن الرجل العجوز في اثرها تماماً . إن الحماسة التي انطلقت بها مـــن البيت قد تخلت عنها . غير انه كان عليها أن تقول للتاجر شيئاً ما . وهكذا قالت على نحو آلي :

« ارني بعض العطور من فضلك . »

علبة جذابة من الزجاج بصف من القارورات وضعت أمامها . نظرت إليهـــا وقالت :

« ارني (جون) أريد الجون فقط » .

« آسف أيتها السيدة ، فالسوق لا يوجد فيه جون ولكن عندي عطر آخر يشابه الجون تقريباً ـــ وحتى أفضل من « الجون » .

ما فهمته أن الجون ـــ وهو عطر اڤيناش المفضل ـــ مفقود من السوق . حالة من الحزن هاجمتها .

وسعياً لا رضائها امسك البائع قارورة بعد قارورة من العطور . وفي الحال ضاع الجون من ذاكرتها تماماً في مزيج من الشذى والعبير . وبألم صامت صرخت : « افي ، أفيناش ، اين انت ؟ » .

من غير رغبة ولا مقاومة اشترت ايرواتي عطراً من نوع آخر . إلى أي مكان يجب أن تذهب الآن ؟ بعد ذلك استولت عليها فكرة . لماذا كان يجب عليها الا تزور الرجل المجوز ؟ لم يأخذها أفيناش إلى بيته مطلقاً . كان خجلاً من فقره ولكنها كانت تعرف شقته المؤلفة من غرفتين بالنظر . لم يسبق لها أن قابلت اهله شخصياً رغم انها شاهدتهم في المستشفى حول جسده المسجى . وفجأة أحست بدافع قوي بالذهاب إلى الرجل المجوز لتلمس قدميه والتوسل اليه كي يباركها .

ولكن عندما وصلت في الحقيقة إلى البيت الكائن في مركز مكتظ خانتها شجاعتها . وبنظرة فشل طلبت إلى قائد الجزكشة أن يقفل عائداً ... وقرب باب البيت صادفت عمتها :

« أين كنت أيتها الطفلة ؟ » سألت المراة المجوز برفق . أشاحت إرواتي بنظرها وقالت :

« أوه ، كنت اشتري بعض الأشياء للتزيين ولكني اشتريت فقط هذه التنينة من العطر .

لم تحاول عمتها ان تخفي دهشتها . ماذا حدث لابنة اخيها ؟ هل ارتدت افخر ملابسها وذهبت لتشتري هذا الشيء الوحيد فقط ؟ لقد تبعت إيرواتي الى غرفتها . القت إيرواتي نفسها على السرير مهملة زجاجة العطر التي كانت ملقاة الى جانبها . التقطتها عمتها وأفرغت محتوياتها .

« ألم تحضري زجاجة فارغة كهذه ؟ » سألت .

« نعم إنها تسمى جون . لقد أهديتها الى أثيناش » .

« الذلك اشتريت هذه الزجاجة ؟ أوه يا إيرواتي الى اي مدى ستعيشين في عالم الذكريات ؟ » قالت عمتها وهي تعيد القارورة الى السرير .

« عمتي » قالت إيرواتي بانفعال « هذا ما افعله منذ فترة طويلة ! لقد نسيت حتى واجباتي الأخرى .. أنت تعرفين اني شاهدت اليوم والده . لقد بدا عجوزاً متعباً جداً ومهزوماً . عمتي ، عمتي كيف يمكن لأهل اثي أن يتدبروا أمرهم بعد موته ؟ أوه إنهم أهلي مذ كانوا أهله . ومع ذلك يا لي من انانية حين لا افكر الا بحزني فقط ! » تدحرجت عبرات كبيرة فوق الوسادة وهي تقول هذا .

إن رجفة غير مقصودة من يدها سفحت محتويات الزجاجة الجديدة فوق السرير فضاع العطر في أرجاء الغرفة على نحو خاطف . وعلى أجنحة الذاكرة عادت إيرواتي الى المستشفى حيث كان يتمدد جسد أثيناش على طاولة في احدى الغرف . وحوله شاهدت أهله يندبون ويبكون ...

اختفت رائحة العطر الجديد بعد برهة وجيزة من الزمن . وعلى أية حال لم تفكر ايرواتي الآن بأثيناش ولا بالجون . ولدى رؤية الرجل العجوز في ذلك النهار شرعت ايرواتي تستعيد ردود فعلها على موت أثيناش هل كانت خسارتها فادحة جداً في الواقع ؟ فهي تملك وظيفتها وحياة هادئة ولكن أهلـــه الفقراء المحرومين من إعالتهم الوحيدة قد أكرهوا على أن يكفكفوا دموع حزنهم حتـــى قبل أن يتحول جسده الى رماد ! وماذا فعلت من أجلهم ؟

بتأثير العادةكانت إيرواتي تولي العناية لحاجيات المرضى المختلفة ولكن عقلها

أصبح الآن مشغولاً ليلا ونهاراً بعائلة اڤيناش : الأب المرهق ، الأم المربوءة(٥) ، أخته وأخوه الصغيران .

واكتشفت ذات مرة بعد عودتها من إحدى الزيارات ان الجزكشة كانت تمر من قرب بيت اڤيناش فخاضت من جديد تجربة . باعث قوي يدفعها لزيارة أهله . ألم تكن مشدودة إلى اڤيناش على نحو روحي ؟ وهم ، ألم يكونوا بعد ذلك أهلها ؟

« توقف من فضلك يا قائد الجزكشة ! » قالت بسرعة . وبحركة توقفت الأداة . ولكنها عندما حاولت أن تترجل أمسكها الخوف ثانية وأصبحت ساقاها ثقيلتين كالرصاص . لا ، لا يمكنها أن تفعل ذلك . ماذا تمثل الآن بالنسبة إليهم ؟

التفت قائد الجزكشة بغرابة من على كتفه إلى الوراء . تراجعت هابطة فوق مقعدها ثم أطبقت عينيها . وبصوت خافت طلبت إلى السائق أن يغير وجهة سيره .

كان المساء قد تأخر عندما رجعت إلى البيت منهوكة القوى تماماً . « لا » فكرت هي « لا يمكنني ثانية أن أستمر هكذا دائماً وإلى الأبد . يجب أن أبعد أعله عن ذهني . فمن أنا لأتحدى قرار الله حين قضى بكل شيء ! » شعرت بتحسن بعد ذلك ، حيث أن فنجاناً من البن الساخن المرفق باهتمام عمتها الراشح بالحب سما بروحها إلى الأعلى .

التزمت بقرارها مدة أسبوع كامل . زجت نفسها بالعمل أكثر فأكثر . ولكن تجربتها لم تنته بعد . فعندما شاهدت الرجل العجوز ثانية كانت تنتظر عند

---

(٥) المصابة بمرض الربو .

موقف الباص بعد مؤتمر طبي علنها ترى جزكشة . لقد كان في الباص الـذي توقف عند الموقف . ولدى رؤيته ، كما لو كانت منجذبة الى مغناطيس ، ركبت متن الباص .

وجدت مقعدا مقابل مقعده . لقد كان بصعوبة يوازن في حضنه آلة قديمة للكتابة . كل خيط من ثيابه البالية كان يعلن عن فقره بصوت مرتفع . اعترت جسدها رعشة حين لاحظت التشابة الغريب بين الرجل والابن الميت على الرغم من الوجه المتغضن . تجمعت كتلة في حنجرتهـا ، فأصبحت يداهـا باردتين ورطبتين .

دسّ الرجل المجوز كفاً معروقة في إحدى جيوبه واخرج قطعة نقد معدنية من فئة الأربع أنات(٦) ليعطيها الى قاطع التذاكر . نظر قاطع التذاكر الى القطعة انتقدية ، قلبها راساً على عقب وهز راسه :

« إن هذه لا تكفي »

صعّد والد أفيناش نظرة الى الرجل بوجه مهموم :

« الا تكفي ؟ ولكن هذا كل ما املك . لذلك كان علي ان اجتاز موقفين مشياً قبل ان اتمكن من ركوب الباص . »

كانت إيرواتي تراقب الموقف بقلق متزايد وقد أقلقها الفضول الرهيب للركاب الآخرين . فدست كفها داخل حقيبة يدها ولكنها تجمدت في المكان . ماذا لـو اعتبرها الرجل المجوز إهانة !

اخذ المسافر الذي كان يشغل المقعد المجاور القطعة المعدنية النقدية من كف قاطع التذاكر . نظر اليها وقال بلهجة خبير :

---

(٦) أنات : ج أنّة : وحدة النقد السابقة في بورمة والهند والباكستان وتساوي ١/١٦ من الروبية .

« لا شيء مخالف للمألوف في القطعة . الق نظرة اخرى . »

بعد هذا لم يبد قاطع التذاكر اي اعتراضٍ آخر . فأطلقت إيرواتي تنهيدة ارتياح .

التفت الجار البدين إلى والد أڤيناش بابتسامة ودية .

« اليست تلك آلة كاتبة . » لم يكن هناك حرارة كبيرة في الإجابة .

« وهل ترغب في بيعها ؟ »

« لا ، لقد استعرتها لمدة أيام قليلة . »

« لأجل ولدك ؟ »

أصاب السؤال إيرواتي في تجويف معدتها ، فحبست نفسها عندما قال الرجل المجوز : « لا ، من أجلي . »

وعند موقف الباص الثاني خرج الأب المسن بسرعة . أرادت إيرواتي أن تتبعه حتى يصل الى بيته سالماً . وفجأة بدت الرحلة مملة جداً بالنسبة إليها فخرجت من الباص بعد موقف واحد . قرارها الأخير أن تنسى الماضي وتبعد عن ذهنها أڤيناش وأهله انهار تحت توتر تلك الحادثة التي حدثت ذلك الأصيل . كان عليها أن تعمل شيئاً من أجل عائلة أڤي . كان عليها أن تساعدهم بطريقة أو بأخرى .

بتوجيه من الحافز قاطعت عمتها ذات مرة في عملها الديني وقالت : « عمتي ، ضعي كتابك المقدس جانباً واعطيني بعض المال . يجب أن أساعد عائلة أڤي . »

رفعت المرأة المجوز عينيها باحتجاج صامت ولكنها أعطت إيرواتي دفتر شيكاتها . وعلى كل حال لم تتطور المشكلة أكثر من ذلك ، فكيف يتسنى لها أن

ترسل المال ! لقد اخبرها اڤيناش أن والده عزيزالنفس ولا تصعب إثارته . وكان يضاعف من آلامها عجزها عن تقديم المساعدة .

لم تكن تعلم فيما إذا كانت ستبتهج أو تحزن عندما طلب اليها أن تلتزم بقضية قريبة من بيت اڤيناش . كانت مريضتها الجديدة زوجة سمان وكانت تحتاج إلى زيارات متكررة . وفي الصباح المبكر من اليوم التالي عندما غادرت البيت لتمر بالمراة تساءلت فيما اذا كانت ستلقي نظرة خاطفة على اهل اڤيناش . شرع جنانها يتأمل إمكانية لقاء من هذا النوع .

تشبثت إيرواتي بحقيبتها الطبية على نحو عصبي عندما اقتربت من المكان نظرت الى الشقة ذات الغرفتين في البناية القديمة عندما خطت نحو بيت السمان اخطأ السمان في تفسير سبب تحديقها فقال وهو مندفع نحوها لاستقبالها :

« لا ايتها السيدة . ليس الطريق من هناك . اتبعيني مـــن فضلك . »

التفتت إيرواتي بمضض الى السمان وانصاعت لطلبه . وعلى سلّم خشبي شديد الانحدار وصلت الى غرفة المريضة التي كـــانت مضاءة على نحو رديء مثلهـــا في ذلك مثل جميع البيوت الكائنة في الأمكنة المكتظة عادة .

فحصت المريضة وقدمت التوجيهات الضرورية ونزلت . تبعها السمان حتى وصلت الى الجزكشة وبصعوبة سيطرت على رغبتها في إلقاء نظرة اخرى على الشقة ذات الغرفتين .

مرة اخر تملك اڤيناش واهله ذهنها تملكاً تاماً . وفي كل زيارة للسمان كانت تجد طرقاً مختلفة لمراقبة البيت المقابل . فقد كانت تخرج الى الشرفـــــة في بعض الاحيان لتقرأ ميزان الحرارة . واحياناً اخرى كانت تجلس في الحانوت من الطابق السفلي لتكتب الوصفة الطبية .

وذات مرة سمعت القرقعة الخفيفة للآلة الكاتبة . وفي الغرفة نصف المظلمة شاهدت شكلاً هرماً متبعاً كان يعالج المفاتيح على نحو متعب . ومرة ايضاً شاهدت الرجل العجوز مرتدياً مئزراً فقط . لقد بدا وكأنه هيكل عظمي . هذا المنظر اثار إيرواتي على نحو عميق . ومرة أخرى تشابكت أعينهما فشحب لون ايرواتي تماماً ناسية أنه سبق لهما ان تقابلا . وعن طريق الملاحظة المتواصلة المدعومة بالخيال المتوقد ذكاءً أصبحت إيرواتي قادرة في الحال على تصور الحياة داخل تلك الشقة ومن ثغرة في جدار الغرفة تمكنت من رؤية « وضع » البيت ، لقد خصصت زاوية من الغرفة الداخلية لتقوم مقام الحمّام . صوت سعال مربوء فاجأ اذنيها المرهفتين . لقد تمكنت إيرواتي من تخيل المرأة المسنة جالسة وظهرها متكىء الى الجدار طلباً للراحة مع ان المرأة المسنة لم تخرج إلى الشرفة مطلقاً .

في إحدى المرات شاهدت ايرواتي فتاة صغيرة على الشرفة . « يجب أن تكون ماندا » فكرت إيرواتي . لقد حدثها أفيناش عن أفراد عائلته . « عندي أخت صغيرة » قال لها « إسمها ماندا ، ولكن يجب أن تسمى شاكونتالا . كان لها شعر طويل وافر النماء . » نعم لقد كان للفتاة شعر جميل وافر غزير النمو . ولكن كان من الواضح انه لم يلامس الزيت منذ شهور . كانت الفتاة تحلك جلدة رأسها في بعض الأحيان بطريقة جنونية . « القمل ، يجب أن يكون في شعر الفتاة قمل . » فكرت إيرواتي ملياً .

حدثها أفيناش أيضاً عن أخته الأخرى : « إيرا ، اختي الأخرى تشبهك كثيراً والى حد بعيد أو يجب ان اقول كانت تشبهك كثيراً وإلى حد بعيد ! مليئة بالنشاط والشجاعة ! لكنها منذ زواجها انقلبت الى فتاة اخرى . انت ترين ، أبي لم يتمكن من الوفاء بشروط المهر بشكل تام ، وكان حموها دائماً يتذرع به ضدها .

فهم يطلبون إلينا بين حينوآخر تعويضاً أو شيئاً آخر . انتظري يا ايرا انتظري ــ عندما أصبح طبيباً سأدفع لهـــم كل باية (٧) من المهر وعندئذٍ اطلب إليهـــم ان يسكتوا ... انت تعرفين يا ايـــرا ان مرض امي بالربو قد جعل البيت كلـــه تعساً .. اخي الصغير ما كوندا ذكي جداً . ولكن أحداً ليس هنا كي يرشده يا ايرا ويسيطر عليه . انه متورط مع رفاق سيئين جداً .. الفقر يا إيرواتي هو اللعنة العظمى . »

لقد جمعت إيرواتي من جديد كل ما اخبرها به اثيناش عن عائلته وتذكرت ماذا كانت تقول لاثيناش في اغلب الأحيان : « لا تقلق يا اثي . سأساعدك كـــي تجابه جميع تعهداتك ومع ذلك فإن مشاكلك هي مشاكلي ايضـــاً . » بحيـــاء فكرت بعد ذلك : « ذلك ما وعدت به آثي . ولكن في الحقيقة ما الذي فعلتـــه من أجلهم ، باستثناء إغداق عاطفتي العاجزة الصامتة عليهم ! » لماذا لم تأخذ بعض الدواء لوالدته ؟ لماذا لم تشتر زجاجة من الزيت لـــ مائدا ـــ ؟ الم يكن بامكانها ان تفي ديونهم ؟ .

وذات صباح ، عندما ترجلت من الجزكشة سمعت السمان يشتم نزلاء البيت ذي الغرفتين بصوت مرتفع . ولدى رؤيتها ابتلع السمانبسرعة المزيـــد من فيض الشتائم . وبطريقـــة فظـــة بعض الشيء سألت السمان : « لمـــاذا تشتمهم ؟ ما هي المشكلة ؟ » أجاب السمان مدافعاً :

« ماذا يمكنني أن أفعل لقد تركوا حساباتهم من غير تسديد مدة ثـــلاث سنين وما يزال الرجل العجوز يملك الوقاحة ليرسل ابنته بين حين وآخر لغرض أو سواه ... »

لقد سمعت إيرواتي ما يكفي . وبشيء من الحدة قالت للسمان :

---

(٧) الباية : وحدة نقد هندية قديمة .

« رويدك ، لا تقلق على مالك في المستقبل . دعهم يأخذون ما يريدون .أنا المسؤولة من الآن فصاعداً عن دفع حسابهم . وسأدفع ديونهم السابقة ايضاً .

فغر الرجل فمه قائلاً بوجه خجل بعض الشيء : « أعرف أيتها السيدة . إنهم فقراء جداً وقد فقدوا ابنهم الوحيد في حادث ! كان سيصبح طبيباً فيما لوبقيحياً . ولكن الى أي مدى يمكن أن ينتظر الإنسان ؟ أنت ترين أيتها السيدة . فأنـــا قد اسمح بأن يموت حقي ولكن ماذا عن حق الإقطاعي وحقوق الآخرين ؟ إن متاعب الرجل العجوز لا تنتهي مطلقاً . فابنتة الكبرى قد جاءت الآن ... »

شنفت إيرواتي اذنيها للخبر وقالت بلهفة : « أما زالت هنا ؟ بودي لـــو اقابلها » .

« لست أدري . لقد جاءت البارحة . إن حماها لطاغية حقيقي . » غادرت ايرواتي السمان بحالة غير عادية من الارتباك عندما تركت مقعدها وخطت نحو البناية . هذه المرة ، من غير تردد ، تسلقت السلم الخشبي وقرعت الباب . أحست بأن المنزل هادىء على نحو غريب . أعادت قرع الباب عدة مرات لكنها لم تتلق اية إجابة ...

اثار التأخير عصبيتها . أحست بأن الخوف يعاودها من جديد . وبعـــد ذلك سمعت صوتاً حاداً لصبي يسأل : « من بالباب ؟ » أتبع السؤال بصوت امراة « لماذا لا تفتح الباب وترى » يجب أن تكون تلك أم أثيناش .

« إنه أنا من فضلك افتح الباب . » كان صوت ايرواتي يرتجف عنـــدما اجابت . وأخيراً فتح الولد الصغير ، ماكوندا ، الباب .

« ماذا تريدين ؟ » سألها بوقاحة . جمعت شجاعتها وقالت : « أعتقد أن أختك الكبرى هنا . إنني أرغب .. » غير أن الصبي قاطعها : لا لقد غادرت

هذا الصباح . اذاً فأنت من أقرباء حميها ! ماذا تريدين الآن غير ذلك ؟ لقـــد أخذت منذ قليل زوجاً من أساور أمي الذهبية ــ حظنا الوحيد والأخير . »

أسرعت إيرواتي لتؤكد له : « لا ، لا ، انني طبيبة . أنا أقدم خدمة مجانية بإشراف النظام الجديد . أخبرت أن أمك تقاسي من مرض الربو . »

« ولكننا لا نحتاج إلى مساعدتك . » وصفق الصبي الباب في وجه ايرواتي. ابتلع الفتاة ظلام مطبق وهي تنزل السلم الخشبي باضطراب .

مرة أخرى مرت إيرواتي غير حافلة بالإهانة بأهل حبيبها الميت. مرة أخرى غير أن حظاً أفضل صادفها هذه المرة . فوالد أفيناش قد استقبلها على الباب . وفي اللحظة الثانية وجدت نفسها داخل البيت . جلست على فراش من العشب . أطرقت وقالت بصوت كان يرتجف من الانفعال :

« أنا إيرواتي . كنت مخطوبة لولدك أملاً بالزواج . » انتظرت اجابـــة ما ولكن شيئاً من هذا لم يحصل . حاولت مرة أخرى :

« أراد أن يفضي بمكنون صدره لكم بعد الإمتحان الأخير .. لم نتمكن من الزواج ، ولكن ... » وبعد ذلك أخبرتهم بكل ما يمكن أن يقال بجمل متقطعة . لم يسبق لها أن كانت في حياتها متواضعة وجادة ومتلهفة إلى هذا الحد .

« أريد أن أساعدكم » قالت هي « إن مسؤولياته أصبحت الآن مسؤولياتي. أعرف صعوباتكم ومشاكلكم . دعوني أخفف حملكم من فضلكم . »

« دعينا نأخذ ألف روبية إذن . » قالها الصبي بلهجة ساخرة . غير أن الرجل العجوز أسكته بنظرة غاضبة . ثم قال لإيرواتي :

« هل أنت الفتاة التي أغمي عليها في المستشفى عند رؤية جسده ؟ »

« نعم . نعم إنني الفتاة نفسها . لقد أصبحت مريضة جداً بعد ذلك . أنت ترى ، كانت الصدمة قاسية جداً بالنسبة إلي . في الواقع كان يجب علي أن امر بكم قبل هذا الأوان بكثير . » في هذه اللحظة غصت بالدموع تقريباً . لقد اخطأت في فهم فضول الرجل العجوز لتعاطفها . كانت المراة العجـــوز تجلس مقابل الجدار من غير أن تفتح عينيها ولو مرة واحدة كما لو كانت تمثالاً تماماً . بعد ذلك قال الرجل العجوز لإيرواتي : « من الخير انك لم تأتي قبل هـــذا الأوان بكثير . كان يجب الا تأتي حتى في هذا الوقت . انت لست متزوجة منه ، اليس كذلك ؟ ذلك حسن . انت شخص حر إذن . ولسوء الحظ يجب علينا ـــ نحن والديه ـــ أن ندفع الثمن . »

« ولكن في اعماق قلبي ، انا ... » لـــم تستطع ايرواتي أن تتم الجملـــة لأن والد اثي قاطعها :

« لا تعطي اهمية لما يقولـــه قلبك . لا تضيعي حياتك . استفيدي منهـــا إلى أقصى مدى ـــ تمتعي بها ـــ انه ميت ولا يمكن تغيير هذه الحقيقة . نعم ، لو كان حياً .... »

« نعم ، لو كان حياً لأراكم بكل تأكيد اياماً افضل . انا اعرفه بديونـــه . بعد الزواج كنا سنذهب لدفع كل روبية ... »

« هراء ! سوف لن آخذ مالك مطلقاً . » وفجأة ، كما لو كان فاقداً توازنه ، طفق الرجل يقوم بايماءات عنيفة بيديه واصبح حديثه مفككاً .

أرعب المنظر إيرواتي وافقدها صوابها وكل دقيقة كانت تمر كان يصبح من الصعب اكثر فأكثر بالنسبة إليها الا تبكي . ولأول مرة بعد ذلك سمعت صوت المراة العجوز :

« ماندا ، ضعي الكمكم(٨) على جبهة الفتاة ودعيها تذهب . . . »

سحابة ذلك النهار بأكمله ، ومن غير لقمة طعام ، كانت تنتقل إيرواتي من مريض الى مريض . كان العمل ضرورة لتخدير الألم الناتج عن الصدمة . وعندما رجعت إلى البيت كان قد تأخر الوقت . كانت عمتها تنتظرها على الشرفة . نظرت ايرواتي بدهشة الى الفتاة التي كانت تقف الى جوار عمتها . كانت ماندا .

اندفعت إيرواتي نحو الفتاة التي كانت تبكي بعنف : « ما الخطب يا ماندا ؟ ما الخطب . » سألت ايرواتي بنفاذ صبر .

بين نشيج ونحيب قالت الفتاة : « لقد خسرنا كل ممتلكاتنا يا ڤاهني (٩) وسلب الاقطاعي أشياءنا . ماذا سنفعل الآن ؟ لقد فر ماكوندا سراً واستخفى . امي لم تقل كلمـــة وأبي يثرثر كرجـــل مجنون . أوه يا ڤـــاهني . ، مـــاذا سنفعل الآن من فضلك ساعدينا . »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لقد نادتها الفتاة الصغيرة بڤاهني . وبعنيين مغرورقتين بالدموع عـــانقت إيرواتي الفتاة بيد ومسحت بالاخرى الكمكم ! الم تكن أرملة ، فأي حق تملكـــه في الشارة الحمراء اذن وكشمعة تحترق متألقة في انتهائها شعت إيرواتي الآن ضوءاً جديداً .

وعندما عادت إيرواتي والفتاة الصغيرة الى بيت اڤيناش وجدا الرجـــل العجوز هادئاً والمرأة العجوز تجمع بعض الممتلكات القليلة التافهة على نحو محزن . ألقت إيرواتي نفسها ساجدة عند قدمي المرأة وتوسلت قائلة :

---

(٨) الكمكم : الشارة الحمراء التي توضع على جبهة المرأة المتزوجة من الهنود .

(٩) ڤاهني كلمة هندية تعني زوجة الأخ .

« اصغـــي ، اصغي إلي . اقبليني كأرملة لابنكـــم الميت ! ولكن من فضلك دعيني أساعدكم ... » وطفقت إيرواتي تبكي بصوت مرتفع كالطفل ولكن الرجل العجوز لم يلاحظ حزنها ولا المراة العجوز . الصغيرة ماندا فقط كانت تحدق بها والخوف بعينيها . وفجأة استلقى جسدها غير الواعي على الارض كومـــة واحدة . ومع ذلك لم يتحرك الزوجان العجوزان ليساعداها . الطفلة الصغيرة ماندا فقط خرجت مسرعة لتحضر عمة ايرواتي .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صدر حديثاً

عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق

الورد الآن .. والسكين

قصص زهير جبور

عندما كنت أرعى الإوز

قصة : تيري هورڤات — ترجمة : أمل نظام الدين

حيـاة الكاتبـة

لم يكن لها من العمر إلا تسع سنوات عندما مثلت أول دور لها في مسرحية « الأم الصغيرة وحكاياتها » • كان ذلك في تامازي ، القرية التي ولدت فيها •

اندراس جاسزيه أول من اكتشف مواهبها في الكوميديا وابن أخ ماري جاسزيه كان يقول عنهـا انها سارا برنارد بودابست •

أساتذة المعهد العالي للفن المسرحي وجدوا فيها ، أثناء امتحانات القبول ، جان دارك مستقبلية للمسرح الهنغاري •

كانت ما تزال تلميذة في الصف الرابع الابتدائي حين حملت لقب أفضل ممثلة بأدائها دوراً في تمثيلية « الخروج من الضيق » ، للكاتب ايمر ساركادي •

والى جانب أنها كانت تعيش دورها كانت كفاءتها تميز فنها الناضج •

ولكي نكون أكثر فهماً لطريقتها في الحيـاة وشخصيتها • إليكم هـذه الحادثة التي يعود تاريخها الى سنواتها الدراسية في الكونسرفاتوار • ذلك أن احدى صديقاتها كانت تعلق على الوشاح الذي اعتادت أن تغطي به رأسـها

وظلت تقول لها : « اذا استمررت في ارتداء الزي الفلاحي ، لن تصبحي أبــداً ممثلة كبــيرة » لكن تيري بدت عنيدة ، ربما كي تثبت أنه كان من الممكن أن تصبح ممثلة كبيرة حتى مع وشاح حول الرأس • من جهــة أخرى ظلت مخلصة للقماش المربع الذي ترتديه دائمــاً بعناية وتقدير فــذ • وظلت تحسن عقــد الوشاح • منذ بضع سنوات أجرى معها فريق من التلفزيون لقــاء ، وبناء على طلب المقــدم ، أخذت تعرض طرقاً مختلفة لوضع الوشاح ، وهي تبين كيف تفعل ذلك الفلاحات عندما يذهبن للعمــل ، أو الى الحقل ، أو الى الرقص ، أو عنــدما يرتدين لباس الحــزن • قدمت تيري هورفات لمشاهدي الشاشة الصغيرة سلسلة واسعة من ضروب المشاعر المتمايزة بدءاً من الألم حتى الفرح • من التعب حتى النضارة ، مــن الشباب حتى الشيخوخة ، مــن القباحة حتى الجمال ، وكان ذلك فوزاً قومياً لم يحتــج الأمر معــه الا الى عرض عــدد من الشملات •

لم يكن لتيري هورفات شيء من الممثلة النجمة بالمعنى المتعارف عليــه للكلمة وهي لم تدع قط أنها ستلمع بطرق هي قادرة على أن تلجــأ اليهــا • ففنها هو الذي أمّن لها الشهرة • هذه بضع من أعمالها المبتكرة التي لاتنسى• وألمعهــا « جــان المقدسة » لشاو ، شخصية سونيا في « الجريمة والعقاب » لدوستويفسكي ، دور تيلتيل في « العصفور الأزرق » لماتير لينك ، ودور هانكا في « الفلاحون » لريمون • ولها أيضاً عــدة أعمال متعددة في ماضيها الفني لمؤلفين مسرحيين مجريين •

تيري هورفات الحائزة على جائزة كوسوت والتي تحمل لقب أفضل ممثلة

متميزة لجمهورية المجـر الشعبية • حصلت مرتين على جـائزة ماري جاسزيه (الفن المسرحي) من الدرجة الاولى ، وكذلك مرتين على جائزة النقد في فرقة الأداء النسوي المخصصة لأفضل انتاج للممثل في تمثيليات الراديو السنوية •

بأية أدوار تحلم ؟ في هـذا الباب لديها لذلك آراء مبتكرة • انها لا تحب الدروب المعبدة • ولكي تبتدع شخصية جان دارك لم تشأ أن تتخذ أي نموذج خوفـاً من أن تقـع تحت أي تأثير • هيأت شخصياتها وحدها • الأدوار التي تحـلم بهـا هي الأدوار التي لم يؤدها أحـد من قبلها • سواء كانت أدواراً كلاسيكية أو حديثة ، المهم أن تكون انسانية على نحو عالمي •

هذه الخاصية الانسانية بعمق، هي التي تكون أساس فن تيري هورفات•• الكلمة الانسانية التي ترن بصفاء ووضوح والفكرة التي تدفع بالانسان الى الأمـام • من أجل هذا عكفت تيري على الكتابة ، وهذا ما يجعـل كتاباتها مشبعة بالذاتية الى حـد كبـير •

القصـة

أول عهدي بالأمر أراهُ كأنما من ثقب الباب بعيداً جـداً في المـاضي • كان أبي بواقاً في جوقة رجال الاطفـاء في القرية • في يـوم السبت المقدس لمعت أمي بوقه النحاسي وحضرت له قميصاً أبيض ارتداه بعد أن أخذ حمامـاً كما ينبغي ، وذهب على دراجته ، أما أنا ، فقد جلست خلفه على حاملة الأمتعة وتعلقت بعنقه • كان عمري يومها خمسة أعوام • أذكر جيداً عنق أبي الشاب الذي كنت أتشبث به بقوة خشية أن أقع • هو ، كان يمسك بمهارة • المقود بيـد ، وباليد الاخرى البوق الذي كان ينفخ فيه • كان يصدر صوتاً قويـاً

كأنه جوقة كاملة ، لكن اللحن كان مرحاً • كنت أعلم أشياء كثيرة عن أنغـام البوق هـذه • ولكن عندما كان يعزف بعنف ، كان الأمر يختلف ، فقد كانت تخيفني ارتجاجاته حينئذ ، كان بوق والدي يبـدو وكأنه يصرخ : الحقـوا تشتعل ••• ، تشـ •• شتعل ••• ، بالنـ •• نار •• ، بالنـ •• نار •• الجميع•••

ظهر ذلك السبت المقدس ، قبل النشور تماماً ، كان صوت بوق والدي النحاسي البراق رائعاً بوجه خاص • من أجل ذلك اللحن الجميل ، ألفت كلمات كنت أرددها بيني وبين نفسي • إنه العيد في القرية ترا ترارا ترا ترارارا ••• كنا نتوقف عنـد كل عطفة طريق وكان أبي يوزع أوراقاً بيضاء • كان يقـرأ بأعلى صوته الحروف السوداء التي كانت فوقها : رجـال الاطفاء يدعونكم ، يوم الاثنين في عيد الفصح بعد أداء الصلوات ، الى عرض مسرحي يتبعه حفلة راقصة في المدرسة ••• ثمن التذكرة كذا ••• أخذت الفتيات والنساء الشابات في انتزاع البطاقات بلهفـة من يدي أبي • القرية بأكملها بدت لي مسرورة • سـوف تكون حفـلة كبيرة غـداً ، بعـد غـد • سـوف تعزف الموسيقى وتـمثل الكوميديـا •••

وأتى ذلك المساء ، مساء الاثنين من عيد الفصح الذي قرر مصيري كله • سأقول في الحال كيف حدث هذا • تلقى والدي دعوة من رجال الاطفاء تصلح أيضاً بطاقة دخول لشخصين • نعـم ، لكننا كنا خمسة أطفال وأمي المسكينة لم يكن لديها المال من أجل كل هـذا الحشد • لذلك ، ذهبنا ، نحن الاطفال الصغار الى السرير ونحن نبكي من الغيظ لعدم تمكننا من الذهاب الى المسرح•

ـ « كفوا عن البكاء ، يا صغاري » قال لنا والدنا مازحاً من أجـل أن

يهون علينا ، « مساء الغد سوف نمثل هنا في المنزل مسرحية أكبر من مستودع الحصيد •

ذهب والدانا ، وبقينا نحن نشهق تحت اللحاف • وكان أول من تكلم « فينس » أخونا البكـــر :

ـ « لكن ، المسألة ليست معقدة ، سننهض ونذهب الى الاحتفال بالخفاء • نسترق النظر الى العرض ولا يعلم أحد بشيء » • سرعان ما حيكت مؤامرتنا وتوارينا في الحال على رؤوس أصابعنا • أنا نسيت حتى أن أتتعل حـذائي • كنت مدفوعة تماماً بالرغبة في رؤية شيء رائع • كنا نحث الخطا في الظـلام ، نحن الخمسة ، ثلاثة صبيان وبنتان بين الواحد والآخر سنة واحدة بعـد أن ارتدينا أسمالنا على عجل هرعنا في سرعة البرق • كانت أقدامي الحافية تطقطق على الطريق • ماذا لو أنهم بدؤوا العرض من دوننا ••• وصلنا الى المكـان المحدد • أمام الصالة ، كان الممر مزدحماً بالناس ، رجـال ينتظرون • تسللت من بين الرجال الكبار حتى باب الصالة • كانت مغلقـة • ارتفعت على رؤوس أصابعي كي أنظـر من ثقب الباب • رأيت أنواراً ، كم كانت جميلة ! كانت أنواراً حمراء ، صفراء وزرقاء • خيم الصمت • انتظرت ، وأنا أحبس أنفاسي كي لا أبدد الوهم • ثم اخترق أذني صوت صاف وجميل لفتاة شابة • كانت تغني : فناء بيتي ، فناء بيتي الجميل ، يداي ضعيفتان جـداً ••• كان هـذا صوت روزي فينوم التي كان يشاركها في الحوار ساندور غوندور :« التمعي ، أيتها النجوم الجميلة ، التمعي بأشعة جميلة ، لكي أجـد طريقي ، أنا الصبي المسكين » •••كنت كلي آذاناً صاغية ، كانت تلك الأصوات الجذابة تخترق

روحي • لحسن الحظ وصل أحد المتأخرين يملك بطاقة دخول • فتح الباب السحري وبلمحـة بصر ، وجـدت نفسي في الصالة ، كانت تعـج بالناس • كان المتفرجون يتزاحمون ، يقف واحدهم الى جانب الآخر لكثرتهم • راقبت المشهد من تحت يـد سيد كان يقف أمامي • كنت أرتجف من شـدة التأثر والفرح وأنا أقف على رؤوس أصابعي • لكن كل ما كنت أقوم به هو الاستماع فما كنت أرى شيئاً ، اذ كان هناك الكثير من الناس • طلبت من السيد الطيب أن يرفعني كي أرى • ما عدت أذكر اسمه لكني ما زلت أذكـر جيداً ذراعيه القويتين اللتين أمسكتا بي حتى نهـاية المشهد • كنت أتفرج كالمسحورة دون رفـة جفن واحدة حتى اني لم أدرك النهـاية ، كنت قادرة على البقـاء حتى الصباح لو أنهم تركوني أفعل •

ثم اجتمعنا نحن الخمسة ، وفررنا تجـاه المنزل • ما أن وصلنا ، حتى أصبحنا داخل السرير • وعندما عاد والدانا كنا نتظاهر ، على طريقة الممثلين ، أننا نتـام نوماً عميقاً • منذ ذلك اليوم ، ما عدت مثل قبل • شـيء رائع كان قد جـاء يسكن في داخلي • هـذا الشيء كان أعجوبة التمثيل ، أضواءه ، وأصواته • كنت أقود قطيعي الصغير من الإوز الأصفر الى البرية و ، ما أن حللت في مكاني المعتاد تحت الدغل حتى أخـذت في الغناء : التمعي ، أيتهـا النجوم الجميلة ، التمعي ••• لم أتوقف عن الغناء • كانت الشمس محرقـة لكن بالنسبة لي كانت النجوم هي التي تلمع في رائعة النهـار • هكذا اذن اكتشفت لذة الغناء وأنا ما أزال صغيرة جداً • إن الغناء يفتح أبواب الروح بشكل لا يقدر عليه الحديث ولا الكتابة ولا الرسم • هذا شيء لا يمكننا أن

ندركه إلا بالاحساس ، هــذا الانفجار من الفرح أو الحزن ، لا يهم ، شــيء يعيش في داخلنا • منــذ ذلك الحين لم يمض علي يوم دون أن أغني • أغني لأني في مزاج حسن ، وأغني لأني حزينة • هذه الرغبة في الغناء ظلت معي حتى هــذا اليوم • شكراً لك يا إلهي ! بالنسبة لي كل كلمة لها أغنيتها : الشمس ، الأرض ، النجوم ، الخــير ، السعادة ، الحياة ، الموت ، الرقــة ، المــرارة ، الوطن ••• كلمات الأغــاني الشعبية هي الشعر الخالص • إنها تعطي لكــل واحد ما تحتاج إليه الروح تماماً • الغناء يعبر عن رغباتنا ، الغناء يحررنا •

كنت هناك أتأرجح على غصن أخير من شجرة حور مقتلعة • كان غصن الذروة رفيعاً ولكنه قوي بعض الشيء بحيث يستطيع أن يطير جسدي الصغير النحيل الذي كان قد تسلقه راكباً ، كانت شجرة الحور تجفف أوراقها نصف ميتة ، لا تنتمي الى الأرض إلا بجذر واحد ضخم • موت شجرة الحور أوحت لي بهــذه الأغنية : أترى يا قلبي هذه الحورة اليابسة ، هذه الحورة المقتلعة ؟ عندما تخضر من جديد سأكون لك ••• كانت الساعات الأولى من النهار وكنت وحدي على الشجرة المنقلبة • أستعيد رؤية المشهد كلما أغمضت عيني • على كل حــال كانت الشمس تسطع • وكانت الأضواء الباهرة تشدني الى عــالم من الوهم • أخذت أتأرجح بمرح أكثر وأطير دائماً الى الأعلى • قطــع علي حلمي صوت امرأة عجــوز :

ــ « ستقعين يا صغــيرة ! »

صوت الواقع جعلني أخاف فصرخت • رأيت الأم فيرا فوروس ، وهي تحمل سلة على رأسها • كان الأطفال يقولون عنها • انها ساحرة •

ــ « انزلي ، يا صغيرة ، وإلا وقعت » • قالت لي بصوتها الحاد الصغير • لكني كنت أصعــد دائماً وطرف الغصن ما يزال يتأرجح • رأيت ثألول الأم فيرا فوروس وقلت لهــا :

ــ « لن أنزل لأنك ستسحرينني ، أعرف أنك ساحرة » •

عندئذ وضعت الأم فيرا سلتها عند ساق الشجرة الضخمة وبدأت الدموع تهطل من عينيها الذابلتين • قالت لي :

ــ « يجب ألا تخافي مني يا صغيرتي • الناس سيئون • عندما تتقدم بنا السن نصبح قبيحين • ننفرد بأنفسنا نعود لا نملك شروى نقير • امرأة عجوز ، هــذا شــيء يتجنبه جميــع الناس يعاملونها كساحرة لأن كبر السن قبيح ، يا صغيرتي • انني لا أؤذي أحداً • الحياة هي التي تؤذيني •

كانت الأم فيرا تتكلم بهــدوء ، وكل كلمة كانت تسبب لها ألمــاً • دون إدراك مني ، توقف تأرجحي ووجدت نفسي جالسة الى جوارها عند جــذع الشجرة المنقلبة • منذئذ عدت لا أخاف من أي كائن حي • الأفكار وحــدها والموت كانت ترعبني • رافقت الأم السيئة فيرا بعيداً جــداً ، وأنا أساعدها في حمل السلة المليئة بالبيض • ثم وضعتها ثانية على رأسها •

ــ « ليباركك الله يا بنيتي ! »

دهشة جــديدة ولدت في نفسي • كان شيئاً مثــيراً أن نرى الأشخاص يختلفون في حقيقتهم عما يسرد عنهم • منــذ ذلك اليوم اعتدت أن أصطحب كل امرأة عجوز وحيدة • وكنت ألقي عليهن التحية من بعيد •

ـ « كم أنت لطيفة يا صغيرة • ابنة من تكونين ؟ »

ـ « ابنة فينس الاسكافي ، الرجل الذي يعزف على البوق في حفل القرية • »

كابوفار ••• بماذا يذكرني هذا الاسم ؟ أول ظهور لي على المسرح في تامازي ، في قريتي ، في المدرسة • لم أكن سوى بنية كبيرة بين مجموعة الناس الراشدين والفتيات الشابات • الله وحده يعلم ، لماذا أسندوا إلي ، أنا الفتاة الشقراء دور الغجرية ، البصارة ، ما زلت أذكر تنبؤاتي :

ـ « سوف يأتي شاب جميل الطلعة ليطلب يدك ، ليأخذني الشيطان إذا كان هذا غير صحيح ••• »

ولو أن أحداً أيقظني في الليل لأسمعته دوري لكثرة ما حفظت كل حرف فيه • لكني كنتُ أشعر أيضاً بالحيرة : من أين أؤمن ثياب الغجرية ؟ في تخيلي ، كنت أرى جيداً ماكان يلزمني : تنورة حمراء ، بلوزة صفراء مزخرفة على الطريقة التركية ذات أصباغ خضراء وعلى الرأس خمار من الكشمير ذو حواشٍ معقود بفتوة على الطرف تحت الاذن • ومن نافلة القول غوازٍ مصنوعة من قطع النحاس • كانت هذه أهم الأشياء في اللباس • لا حاجة للحذاء ، فالغجرية تمشي دائماً حافية وتحمل على ظهرها صرة وكأن طفلها بداخله ، لاتوجد مشكلة : سوف أضع كمية من العشب في قطعة قماش معقودة• كان الناس في قريتي فقراء • وكانت موضة التنانير المتعددة قد توارت • أفضيت بقلقي لصديقتي باني التي سرعان ما لطمت جبينها بيدها الصغيرة الطرية • حملقت فيّ وفتحت فمها الصغير حتى آخره لتصرخ قائلة :

ـ « نحن عندنا أقارب في كابوفار ما يزالون يرتدون التنانير المتعددة • ما علينا إلا أن نذهب الى هنـاك ، المسافة ١٤ كيلو متراً ذهاباً وإياباً ، شـيء لا قيمة له • ذهبنا اذن من تامازي حتى كابوفار بمحاذاة منحدر سكة الحديد • كان هذا قبل أعياد الفصح تماماً • والطقس لطيف • انطلقنا بمرح في الطـريق بعد الغداء • كنا نسرع الخطا في الحقول المخضرة • بعد وقت اضطررنا للسير حافيتين لأن أحذية العيد كانت تسبب لنا ألماً • كانت هذه أول مرة ، منـذ العام الفائت ، أشعر فيها بملمس العشب النضر تحت راحتي قدمي الحافيتين ، كانت الأرض رطبة • حتى هذا الوقت أحب أن ألمس الأرض بقدمي الحافيتين ، بالنسبة لي هـذه نشوة لا تقـارن •

أخيراً وصلنا • كان أقارب صديقتي يقيمون في منزل صغـير من اللبن له نوافذ صغيرة يقع عنـد سفح قصر كابوفار • دخلنا وألقينا التحية كما يجب أن نفعل • ما ان شرحنا سبب الزيارة حتى دخلت السيدة في الحال أول غرفـة في المنزل • كانوا أناساً على قـدر من المودة كبير • تبعنا السيدة الشابة التي فتحت أحـد أدراج الصوان • رأينا في الداخل ، باني وأنا ، تنورة جميـلة مطوية بعناية معقودة بشرائط من طرفيها ، تناولتها السيدة بحـذر ، فكّت الشرائط وألصقت التنورة على خصري • الطول كان جيداً أما محيط الخصر فكان عريضاً بعض الشيء • لا بأس ، سنأخذها • كما وجدت لي خماراً أخضر ذا حواش مثلما تخيلته ، ثم قميضاً أصفر • ضممت هذه الكنوز الى صدري :

ـ أتعيرينني كل هـذا ؟

ـ نعم بالتأكيد ، فقط اعتني بهـا جيداً ، يا صغيرة ولا تنسي أن تعيديها

لكي أرتديها يوم الأحد القادم لأنني لا أملك سوى هذا الثوب من أجل العيد •

ـ « بالطبع سأعتني بهـا ، وكيف لا ! وشكراً جزيلاً » •

غادرت المكان وأنا أضع كنزي على ذراعي كانت أعز علي من بؤبؤ عيني •

في المساء ، في المنزل ، أغلقت على نفسي باب الغرفـة • جربت الثوب بفرح جنوني ، التنورة الحمراء ، القميص الأصفر الذي عقدت أسفله بحيث تكون العقدة عن جانب • أخذت في التبختر أمـام المرآة • صنعت لنفسي في الحـال حلقـاً من قطع صغيرة صفراء وأخفيت شعري الأشقر تحت الخمـار المبرقش • عكست لي المرآة الضحكة الطليقة الغجرية • هـذا ليس معقولا ، هـذه التي في المرآة ليست أنـا !

ثم خرجت لأقوم بالتدريب مع اخوتي ، نوع من تجريب الثياب قبـل البدء اذا كان الأمر يتعلق بالتمثيل • أذهلهم تبدلي • أمسكت بيد أخي لأخبره بالمغامرة الجميلة : « بعد حين ستمنون بضربة شديدة في هذا المنزل ••• » • وسددت له ضربة قوية على ظهـره • ضحكنا كثيراً في تلك الليلة ، حتي أمي لم تكف عن القـول :

ـ هـذه الفتاة الملعونة ، ما عسى أن يحدث لهـا ؟

لم أتعب فكري أكثر من أجل عرض الغـد • أخذت شهرة كبيرة تحدثت عنها كل القرية • ولفترة طويلة بعدها ظل الاطفـال يصرخون كلما التقوا بي في الطريق بأقوال الفتاة الغجرية • ما كنت أعلم أبداً معناها ، على كل حـال ، أفلتت مني في الوقت الحاضر • ربما كلام بذيء ، أو شتائم ، من يدري ؟

كانت أمي تنظف الغسيل في الساحة • وأعياد الفصح قد مضت لكـن نساء القريـة لم ينسين تماماً دوري • ها هي الأم بانا لوكا ، تمر من هنـاك وتنادي أمي من فوق السور : « هيي ، ماريا ، كـم كان أداء ابنتك الوسطى جيداً في العرض ! كانت غجرية حقيقية حتى اني كدت أقسم انها ابنة غجري •

ـ « هذه البنت الملعونة ، ستسبب لي المتاعب » ، هكذا قالت أمي وهي تضحك ، ثم أخفت وجهها خلف ذراعها بينما كانت تتساقط من أطراف أصابعها في الدلو قطرات المياه وفقاعات الصابون • ثم وخلال وقت غير قصير كان يسمع صوت ضحكها المغـرد •

كنت أستمع الى الحديث الذي يدور بين السيدتين وأنـا مختبئة خلف باب القبو • كان ذلك يسعدني حتى اني كنت أشعر بالخجل وقلبي يضطرب تأثراً ودمي يرتد ملتهباً من أطراف قدمي حتى أذني • كنت أصغر من أن يرى أحـد فرحتي الهائلة وأنا جاثمة خلف عضادة الباب أضغط يدي على صدري كي لا أطير من فرط السعادة • لماذا كنت سعيدة الى هذا الحد ؟ لأني أخـيراً أصبحت أعرف شيئاً ما ، كنت سعيدة لأنني أعرف أمثل • كنت أضغط عـلى قلبي بكل قوتي وأنا مقرفصة وأشعر بالاختناق من الفرح • لم يكن أحد قادراً على أن يأخـذه مني ، لا أحـد •••

❊ ❊ ❊

أخبار ثقافية من العالم

اعداد : ا . ج

تشيلي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

● **الأدب في المنفى يناضل**

« الأدب التشيلي في المنفى » هكـذا سمى رجـال الثقافـة والأدب التشيليون مجلتهم الفصلية • وهم من أولئك الذين اجبروا على ترك وطنهم بعد الإنقلاب الدموي الفاشي في أيلول ١٩٧٣ •

يقـود المجلـة الكاتب الإجتماعي فيرناندوا أليجيريـا • ويشارك في في هيئة تحريرهـا من الادباء التشيليين المعروفين : خايمي كونجا ، نيلسون آرسوريو ، غيليرموارايا ، خوان آرمانودا ايبيلي •

في إفتتاحية العدد الأول من المجلة حددت هيئة التحرير هدفها ووظيفتها ،

وكشفت عن الدور الذي هي مدعوة للقيام بـــه ، والذي ينطلـــق من روح الوحدة التامة للقوى الوطنية • ولقد ذكرت مجلة « كاسادي لاس امريكاس » الصادرة في « هافانا » بعضا مما في الافتتاحية :

في أوضاع الإدارة العسكرية في تشيلي ، لا يمكن أن تكون ، هناك ، حرية للتفكير ، ولا امكانية للجهر بها • لقـــد توقفت الادارات التعليمية في البلاد ،عن كونها مراكز للثقافة ، حيث تحولت الى منظمـــات تقوم بالتدريب العسكري الشاق • وهيئـــات للترويض السياسي • وكل ذلك من أجل أن يُعترف بممثلي الطغمة العسكرية ، ولتجهيز جيل يحقق مصالح الحكومـــة الحالية ، ويكون مطيعاً لنظامهـــا الحديدي • وفي ظـــل الترتيبات المعادية للديمقراطية ، بدأت الهجرة الجماعية من تشيلي ، والتي شملت فيما شملت رجال ثقافة ، علماء ، كتاباً ، في محاولتهم البحث عـــن امكانيـــة الحريـــة وضمانها ،وتوفير المناخ لنشاطهم الإبداعي •

إن الصلة الدائمة بين ممثلي الثقافة في المنفى ، ونشر نتاجهم ، والدعاية له ، هي مهمتهما التي لا تقبل التأجيـــل •

إن مجلتنا تضع أمام نفسهـــا مهمة تنفيذ هـــذا الهدف ، في مجالات الأدب ، وعلم الأدب • وبالإضافة الى ذلك ، سنظل نسعى الى توطيد علاقتنا الشاملة ، وبجميع الوسائل الممكنة ، مع الكتاب التقدميين في جميع أنحـــاء العالم • » والجدير بالذكر ، أن لجنة مساندة دولية قـــد شكلت بدعوة من كتاب امريكـــا اللاتينية التقدميين • ويرأسها ، الآن ، الكاتب الكولومبي

المعروف « غابريل غارسيا ماركيز » (ترجمت مؤخراً الى العربية رائعته « مائة عام من العزلــة » وصدرت عن « دار الكلمــة » في بيروت • قام بالترجمة سامي وانعــام الجندي) ، وقد وافــق على الانضمام لهذه اللجنة كبار ادباء امريكا اللاتينية : ماريوبينيدتي ، ارنستو ساباتــو ، خوليــو كورتاسار ، إدوارد غاليانو ، ميغل سيلفا ، خوان رولغو وغيرهم •

انكلترا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

● **اولدريج وهمنغواي وفيتزجرالد في رواية •**

صدر للكاتب الانكليزي التقدمي المعروف جيمس أولدريج رواية تحمل عنوان « نظرة واحدة أخيرة » وقد قوبلت هذه الرواية بإستحسانٍ بالغ • والطريف ان ابطال عمل أولدريج الأخير هم : ارنست همنغواي ، وسكوت فيتزجرالد في شبابهما • والكاتب يحاول « كشف جذور صداقتهما الوطيدة • وتحليل ماهية علاقتهما • » على حد تعبير الكاتب نفسه •

والمعروف عن أولدريج موقفه التعاضدي الدائم مع الشعوب الفقيرة ، ومساندته لنضال الشعب العربي ضد الاستغلال والاحتلال • وقد احتفلت

الأوساط الثقافيـــة التقدمية في انكلترا في تموز الماضي باليوبيـــل الستيني لأوندريج الكاتب ، والمؤرخ ، والمناضل الاجتماعي •

ولد أولدريج في مقاطعة فيكتوريا الاسترالية ، في مدينة وايت ــ هيلس• لأبٍ يعمل محرراً في جريدة محلية • درس في كلية ميليورفسك ، وواظب على الدراسة في جامعة لندن •

عمل مدة طويلة مراسلاً عسكرياً بحيث ، اتيحت له زيارة العديد من البلدان • وأعطته مهنته منحة أن يكون من الشاهدين على سقوط الفاشية الألمانية في عام ١٩٤٥ •

لقد جاء أولدريج الى الرواية عبر التحقيقات والريبورتاجات الحربية • كتب أول رواياته « قضية شرف » عام ١٩٤٢ • وهي عن نضال الشعب اليوناني ضد الفاشية الهتلرية المعتدية • ولم يتوقف عن تطوير موضوعاته هذه حيث واصلها في روايته « النســـر البحري » عام ١٩٤٤ • وفي عام ١٩٤٩ أصدر أولدريج روايته الثالثة « الدبلوماسي » • والتي قدم من خلالهـــا تقويمه وتثمينه لنضال الشعوب من أجل حفظ السلام والحريـــة • وبهذه الرواية أصبح أولدريج من الأدباء الحائزين على مدالية السلام الذهبية ، التي تحمل اسم « لينين » •

ان ابطال أولدريج يتصفون بالرجولة ، وبالنضال من أجل العدالـــة القومية والاجتماعيـــة ويلاحظ القارىء أن مؤلفاته مثل : « الصيـــاد » ،

« بطل الآفاق الصحراوية » ، « لا أريد له الموت » ، « ابن الأرض الغريبة » وأخـيراً « الجبال والأسلحة » مكرسة لحركـة التحرر الوطنية في الشرق الأوسط .

إن جيمس أولدريج الكاتب المناضل ، وصديق شعبنا ومناصر حقوقه ، يستحق منا تحية تقدير بمناسبة يوبيلـه الستيني . تحية متأخرة ، ولكنها من القلب .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاتحاد السوفييتي

● **فلسطين موضوعة « أفول القمر » رواية عليم كيشوكوف .**

صدر عن دار نشر « الكاتب السوفييتي » روايـة لعليم كيشوكوف تحمل عنواناً روماتيكياً « أفول القمر » . وهي تجعل من نضـال الشعب العربي الفلسطيني ، موضوعاً لحوادثها التي تجري في إحدى الدول العربية . وعلى الرغم من بعض المفاهيم المغلوطـة والساذجة ، والتي تغطي مساحات غير صغيرة من الرواية كالمواقف الثانوية في قضايا الصراع الاجتماعي والسياسي لجماهير الشعب الفلسطيني ، والتي يجعل منهـا المؤلف خطوطـاً رئيسية في قنوات الرواية فإن الرواية تظل اهتماماً جاداً بمشاكل الأمة العربية في صراعها

مع قوى العدوان • وتكمل ــ كما يرى الناقدان لازيز بولاتوف وطالعات صاليحوف • مجلة « صداقة الشعوب » • العدد (٤) ١٩٧٩ ــ أفضـــل تقاليد أولئك الكتاب الذين اهتموا بقضايا الشرق الأجنبي أمثال : نيكولاي تيخونوف ، ميرزاطورسون ــ زاده ، آيبيك ، وميرزا ابراهموف •

انرواية تتحدث عن مصير الفتاة الفلسطينية فريدة البياتي في صراعهـا مع والدهـا الذي يحاول الثراء عن طريق تزويجها القسـري ، وأخـذ المهر الذي يمكنه من تحقيق حلمه في إسعادها ! وعمر ــ والد فريدة ــ من ذلك النوع الذي يحلم ببلده المغتصب ، ولكنه ــ كما يرى المؤلف ــ لا يناضل في سبيل استرجاعـه • إن « طيور السعادة » التي كان يحلم برؤيتها الوالد تحوم حول ابنته لم تأت • لأن فريدة هربت من بيت عريسها ، وتحت تأثير أفكار المعلم والشاعر شوكت ، وهي أفكار تدعـو للتحرر وعدم الخضوع لضيق العقل ، والجمود الاجتماعي • وينتهي الأمر بفريدة في السجن ، بعد أن يحكم عليها القاضي اسماعيل بحكمه الجائر ، وهو الذي يرى في المرأة نقطة الآثام الممكنة وغير الممكنـة •

إن الرواية ــ كما أرى ــ تتمثل الوضع اجتماعي في آسيا الوسطى قبل الثورة • وهي أوضاع تجاوزها المجتمع العربي ، وخصوصاً الشعب العربي الفلسطيني • وبدعوى التشابه في الخلفيات التاريخية يقع المؤلف في مطب اسقاط تجربة اجتماعية ، على ظروف مجتمع آخر لتصبح السذاجة مدخلاً لأمور نضالية معقدة • لأنني ، لا أظن ، أن دوافع احباط النضال ــ في حـال

وجودها ــ هي المهر والصراع بين فريدة ووالدها ، على ما لذلك من أهمية • فالقضايا أبعد من ذلك ، ومسار الحس الدرامي في قضايا الصراع العربي الاسرائيلي تحدد في معرفة طبيعة الصراع بين الإمبريالية والرجعية وأذيالها ، وبين حركة التحرر الوطني العربية (بإمكان القارىء مقارنة « أفول القمر » برواية يوري كليسنيكوف « أرض الميعاد ») •

إن عليم كيشوكوف يقف بثبات إلى جانب نصرة قضية الشعب العربي ، وروايته « أفول القمر » دليل واضح على اهتمامه بما يعاني الشعب العربي الفلسطيني في نضاله المشروع من أجل حقه • أما المواقف التي تظهر في الرواية مجزأة أحياناً ، وأحياناً أخرى لا تصل بالقارىء المطلع الى القناعــة ، فهي تحتاج لوقفة أخرى في مكانٍ لا يكتفي بالتعريف والعرض •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

البرازيل

● **نيلسون بيرادوش سانتوش يخرج فيلما عن رواية لجورج امادو •**

قــام المخرج البرازيلي المعروف بيريرادوش سانتوش بتصوير فيلــم (« بسطة » الروائع) عن رواية لجورج امادو تحمل نفس الأسم •

« في وقت أفلمة رواية جورج امادو ــ يقول المخرج ــ حاولت خلق

أجواء في الفيلم ، ليست فقط ، تلك التي في الرواية • ولكنني حافظت ــ كما يقال ــ في الفيلم على نسيج القص في الروايــة • طبعاً ، كان لابد مــن التضحية ببعض المواقف والشخصيات • إلا أن شخصية بيدرو أركاناجو ، حدث الرواية الأساسي وقيمتها النضالية ، وبطلها الذي يقود وراءه الأفكار ، بقيت وبكاملها محفوظة في الفيلم » •

لقد عمل بيريرادوش سانتوش وقتاً طويلاً في الفيلم ، وبمشاركة جورج امادو ، حيث كتبا السيناريو معاً • « •• وإذا كان للفيلم من قيمة ــ يقــول المخرج ــ فهي ، قبل كل شيء ، تنحصر في أننا نريد ان يشعر المشاهد ، أثناء عرض الفيلم إنه ، فعلاً ، « بايا » » والبايا ــ عند مؤلف الفيلم ــ فرضيــة تشكل تاريخي لكل البرازيل •

إن رواية (« بسطة » الروائع) والحدة من أفضل ابداعــات الكاتب الكبــير •

الولايات المتحدة الامريكية

● **ثمانون عاما على ولادة ارنست همنغواي •**

أحتفلت الأوساط الثقافية في العالم ، بالذكرى الثمانــين على ولادة

الكاتب الإنساني الكبير أرنست همنغواي • وبهذه المناسبة ، يحاول الأمريكيون المختصون جمع مقالاته وكتاباته التي لم تنشر • وفي الإتحاد السوفييتي ترجمت قصته الأولى « مياه الربيع » وصدرت عن مكتبة « أغنيوك » بمائة ألف نسخة (عن مقال للدكتور يا • زاسورسكي • لتيراتورنايا غازيتا • العدد ، ٢٥٠٣٠ أيلول ١٩٧٩) •

ولد أرنست همنغواي في ٢١ تموز عام ١٧٩٨ في مدينة أوك بارك ، النيوسي ، لوالدٍ يمتهن الطب • وفي عام ١٩١٧ تخرج من المدرسة ، لاليواصل دراسته الجامعية ، بل ليعمل في جريدة كنساس سيتي ستار • وليتركها ، أيضاً ، بعد بضعة أشهر الى أوربا ، متطوعاً كسائق عربة اسعاف ، ليصاب بجرحٍ على الجبهة في ايطاليا ، وليمنح وساماً فضياً (كان قد حصل قبلها على وسام صليب الحرب) • وبعد فترة النقاهة يغادر أوربا الى الشرق الأوسط كمراسل لصحيفة تورنتوستار • وفي باريس التي عاش بها سنيناً طويلة بعد الحرب ، يبدأ الكتابة ويتعرف على دوس باسوس ، وآل لنكلولن ستيفنسن ، ويرتبط بصداقة حميمة مع ازراباوند ، الذي يعتبره مع الآنسة شتاين من اساتذته • وليبدأ ، بعدها ، همنغواي حياته الأدبية ، التي غطت مساحة واسعة من التراث الأدبي الأمريكي :

« مياه الربيع » ، « موت في المساء » ، « في عصرنا » ، « وداعاً للسلاح » ، « ثلوج كلمنجارو » ، « الإله الرخامي » ، « لمن تقرع الأجراس » ، « روابي افريقيا الخضراء » ، « لمن تشرق الشمس » ، « الشيخ

والبحر » ، « حياة فرانسيس ماكومـير القصـيرة السعيدة » ، « الناس في الحـرب » ، « العمود الخامس والقصص الواحـدة والأربعون الأولى » وغيرهـا •

يقول الناقد م • كاولي (مقدمة الى همنغواي • ترجمة مصطفى عبود • الأديب المعاصر • العدد (٥) • تموز ١٩٧٣) ، « ••• لكن قصص همنغواي في معظمها تمتاز باستمراريتها ، بمعنى انه اعتاد الرجوع الى الموضوعات ذاتها ما نحاً إياها ، كل مرة وضوحاً أكبر ــ لنفسه ، كما للآخرين أيضاً • في اعماله ثمة تماسك عاطفي ، كما لو كانت محمولة على التيار نفسه » « في بداية ١٩٣٠ اضحى تكنيك همنغواي ، البسيط في بدايته ظاهرياً ، أكثر اتقاناً ، وبـدأ يتحدث عن امكانية كتابة ما أسماه البعد ــ الرابـع • يقول في (روابـي افريقيـا الخضراء) « ان الواقع الذي يكمن وراء تجنب الجميع له ، وانكار اهميته ، واظهار عبث تجربته هو صعوبته البالغة ، ذلك انه يقتضـي تركيب عناصر عديدة لكي يكون بالإمكان الوصول إليـه » •

والجديد بالذكر ، أن هناك ما يحتفل بهذه الذكرى على طريقته الخاصة ، لأن همنغواي العظيم ، بقدر ما يملك من المعجبين ، يملك من نقيضهم • ففي مقدمة الطبعة الجديدة ــ يكتب دكتور العلوم الأدبية يا • زاسورسكي ، في المقال المشار اليه آنفـاً ــ من « تاريخ الولايات المتحدة الأدبي » يحاول الناقد الأدبي الامريكي المعروف ايهاب حسن اثبات ان همنغواي في روايته المنشورة بعد موته « جزر في المحيط » ظل في الستينات كاتباً روماتيكياً كما كان عليه في العشرينات ، وأنـه في أواخـر حياته ــ حسب رأي الناقد ــ كان

مضطرباً يصارع الزمن ، ويخفق حتى في تصحيح المسودات التي لم تستسلم لذلك .

ان الناقد كما نرى ، لا يعجبه موالاة همنغواي لمواقفه الخاصة ورؤاه . لذا يبدو احتباس تقويمه لهمنغواي . ان الناقد يعكس الإتجاهات الأدبية التي رفضها همنغواي نفسه . وهي ان الأدب الأمريكي فيما بعد الحرب ، فقد الإحساس بوجود البطل الواقعي والشخصية الهادفة . لقد سادت المكارثية الإجتماعية في الولايات المتحدة في أواخر الأربعينات ، وأوائل الخمسينات . وأصبح الأدب تجارياً ، وانعكس ذلك في طوفان النثرية « الجماهيرية » المزيفة ، وتحت ستار الأدب الحقيقي . هذه الفترة جعلت الكثيرين من الأدباء الأمريكيين يشعرون بالخيبة ، لأنهم لم يروا في الواقع الحي شيئاً يقف ضد النزعة اللاإنسانية في المجتمع الرأسمالي . من هنا ، نرى شدة الحنين ــ وهذا ليس مصادفة ــ الى الشخصية الانسانية الحقة ، والإنسانية الأصلية ، تغطي انتاج أكثر الأدباء الأمريكان شهرة في الستينات والسبعينات أمثال : آبدايك ، هوللر ، فونيغوتا ، ستايرون ، غاردنر وأوتس .

ان روايات همنغواي أضافت دفقاً جديداً في شريان الرواية الإنسانية ، بكل التجارب الحية التي عاشها الكاتب متنقلاً في أرجاء العالم بحثاً عن الانسان ، هدفه في الكتابة والحياة .

« وباعتباري قارئاً ... وجدت روايات همنغواي تفيض بالانسانية ، ففيها حياة ، وحب ، وموت ، وأفراح قصيرة ، وحروب طويلة .. وبعد

« اوليسيوس » لجيمس جويس ، « والمزيفون » لاندريه جيد ، بدت هذه الروايات وكأنها ترد الاعتبار للحياة ..

وباعتباري كاتباً .. ادهشتني مهارة همنغواي . اني أشعر بالرضـــى كلما استطعت أن أفهم كيف ألف كتاباً ، ولكنني لم استطـــع أن أفهم حتى اليوم كيف توصـــل همنغواي إلى قوة حواره .. » (إيليـــا إهرنبورغ . ارنست همنغواي . عن كتاب « الفنان في عصـــر العلم ، ومقالات أخرى . ترجمة فؤاد دواره . منشورات وزارة الاعلام العراقية . ١٩٧٧ . ص ، ٢١١).

ان همنغواي يوصف في الأدب الأمريكي ، بأنـــه لم يطـــق الحرب ، والعدوان ، والكذب . لقد أحب الخير ، والشجاعة في الناس ، والكلمة . لذا فقد تحول أدبـــه من فن الوقائع والحقيقة الى فن حقيقة الحياة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يظل همنغواي الكاتب الإنساني في ذاكرتنا ، وهو يطرق أبواب مسامعنـــا يدعو الإنسان فينا لتثمين وجوده .

* * *